جامعة غليزان

محاضرات المدارس اللّسانية

ماستير 1 تخصص لسانيات عامة.

الدّكتور : ابن شمَّاني محمَّد.

2023/2022

بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة الأولى :

البحث اللساني لدى الهنود.

- **تمهيد:**

يتطلب الحديث عن المدارس اللسانية الحديث عن تاريخ التفكير اللساني لدى الحضارات الإنسانية المختلفة منذ أن بدأ هذا التفكير إلى آخر ما توصل إليه الإنسان من نظريات ومناهج وتصورات لسانية معاصرة؛ لذا يكون من المفيد تقديم عرض تاريخي موجز لنشأة التفكير اللساني ابتداء من الحضارة الهندية ومرورا بالحضارات الإنسانية التي أعقبتها من إغريقية ورومانية وعربية إسلامية وأوروبية وصولا إلى أحدث النماذج اللسانية في العالم الغربي تحديدا،باعتبارها نماذج مكّنت العلماء من أن يصيّروها مدارس لسانية لها أصولها ومفاهيمها ومناهجها ومصطلحها وأتباعها فضلا عن تميزها عن بعضها من حيث منطلقاتها، كل ذلك سيرا على الترتيب الزمني الذي اتخذه اللسانيون مسارا لهم في تتبع تطور الفكر اللساني عموما.

إنّ المنبع الأول لنشأة التفكير اللساني لدى الإنسان هو تأمله

في اللغة، هذه الظاهرة التي شغلت فكره ونظره منذ القدم، وظل مُصّرا على فهمها بشكل صحيح ودقيق، وعلى الرغم من ذلك لم يصل بعد إلى ذلك المستوى من الفهم لها كما سطّره، ومن ثم تأكد لديه بأنّ إدراك حقيقة اللغة الإنسانية إدراكا تاما هو أقرب إلى المحال، لكونها ظاهرة معقدة جدا، ولكونها أيضا تتقاسمها العديد من الجوانب المتصلة بالإنسان نفسه من نفسية واجتماعية وتواصلية،وفكرية و إدراكية واقتصادية...الخ.

كل هذه الخواص والميزات جعلت من اللغة الإنسانية متفردة بخصوصية لا تشاركها فيها ظواهر أخرى لصيقة بالإنسان، مما يزيد من مجهوليتها لديه وإن كان يمتلك الكثير من التصورات عنها والنظريات والمناهج التي سعى بها إلى تفكيك شفرة اللغة والوقوف على كنهها.تلك التصورات والنظريات والتأملات وجميع المعلومات المحصّل عليها تعد النواة الأولى لنشوء التفكير اللساني لدى الإنسان الذي حوّلها في العصور الحديثة علما قائما بذاته، نعني اللّسانيات ومدارسها.

وعليه سنتخذ المسار التطوري والتكويني الذي تقلّب فيه الفكر اللساني عبر المحطات التاريخية الكبرى مأمّا لنا في تحديد

إسهامات الحضارات الإنسانية في نشوء وتطور اللسانيات حتى صارت على الهيئة التي هي عليها الآن باعتبارها علما مستقلا ومتميزا عن غيره من العلوم، بل علما تحتاج إليه كثير من العلوم الإنسانية والصورية.

- **الهنود:**

تكاد تجمع مصادر تاريخ اللسانيات على أن الهنود كانت لهم دراسات لسانية متميزة تخص لغتهم الهندية القديمة،وقد أنتجت تلك الدراسات،على الرغم من بساطتها،تصورات لسانية ذات شأن وتأثير بالغَينِ على المستويين الداخلي المتمثل في بلاد الهند، والخارجي المتمثل في إحداث تأثير عالمي في البحوث والتأملات اللسانية التي عرفتها شعوب وحضارات أخرى تلت الحضارة الهندية. ولعل الأمر المهم في ذلك هو ما تم العثور عليه عندهم من وثائق ومخطوطات شاهدة على وعيهم اللغوي المبكر، واهتماماتهم بدراسة لغتهم الهندية القديمة.

لقد ارتبط البحث اللساني الهندي القديم بالبعد الديني،من حيث هو دافع قوي ومباشر في نشأة التفكير اللساني عندهم،ومعلوم أن البعد الديني في أي مجتمع إنساني قديم أو

حديث يمثل صورة من صور التأمل الميتافيزيقي؛ لذا كان دائما الموّجه الرئيس للمجتمعات في كل شيء،وهو الأمر الذي لم تكن الهند فيه في معزل عنه.

لقد ساد لدى الهنود قديما اعتقاد ديني راسخ تجلى في إيمانهم بأنّ اللغة هي صنيع إلهي،وأنّ الإله الذي صنعها هو " أندرا " الذي منح لكلّ شيء اسما يخصه[1]،وبهذا آمن الهنود القدامى بأن لغتهم هي لغة مقدسة لارتباطها بالديانة الهندوسية لديهم.

بإمكاننا تحديد طبيعة الدرس اللساني الهندي وخصائصه العامة في الخطوات الآتية:

1/البعد الديني:

كان للكتاب المقدس " الفيدا " لدى الهنود مكانة عظيمة في نفوسهم؛ إذ هو دستور حياتهم ومنظِّم سلوكهم،وكان هذا الكتاب سببا من الأسباب التي حفّزتهم على دراسة لغتهم القديمة،وقد تجلى ذلك في العديد من المظاهر اللغوية على غرار النحو والصرف والأصوات، فضلا عن المظهر الدلالي الذي تميزت به اللغة السنسكريتية، وهو ما جعل بعض اللسانيين المحدثين يؤكد على أن

[1] ينظر أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،ط2005/2،ص 11.

ما توصل إليه الهنود القدامى في ميدان الدراسات اللغوية السنسكريتية له الأثر المباشر والقوي في الدراسات اللسانية التي عُرفت فيما بعد عند حضارات إنسانية أخرى إلى غاية العصر الحديث، على غرار البحوث الصوتية والنحوية التي ظهرت لدى الأوروبيين في نهاية القرن الثامن عشر تحديدا بعد اكتشافهم اللغة السنسكريتية[2]، يقول الأستاذ بهاندراكر: إن اكتشاف اللغة السنسكريتية والأنظمة النحوية الهندية قرب نهاية القرن الثامن عشر، قد أدى إلى ثورة كاملة في الأفكار الفيلولوجية في أوروبا، كما أدى ذلك إلى خلق عصر جديد في علوم اللغة خاصة في أوروبا الحديثة[3]،وهذا ما جعل اللغة السنسكريتية متميزة بالقداسة في معتقد الهنود،نظرا لارتباطها بالكتاب المقدس " الفيدا "، ثم إن هذه الميزة هي التي جعلتهم يولون اهتماما كبيرا للبحث في مضامين النصوص التي كتبت بها اللغة السنسكريتية قصد الوقوف على مقاصدها.

2- Voir, John lyons, linguistique générale, tr :F.Dubois charlier et D.Robinson, éd : larousse .paris,1970, p 18.

3- ينظر، أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند الهنود، دار الثقافة بيروت لبنان،ط 1972.ص 19.

إن هذه العناية بالنصوص المقدسة [4]التي اكتسبت قداستها من اللغة السنسكريتية احتوت على قضايا ذات صلة مباشرة بالبحث اللغوي،خاصة في الجانبين الصوتي والنحوي،وهنا برزت الخصائص الأساسية لنحو اللغة السنسكريتية وصوتها،ودُرست تباعا بمناهج علمية تتواءم والعصرَ الذي كانت منتمية إليه، وقد تجسّدت تلك المناهج في ثلاثة مناهج أساسية هي التجريبي[5] بمعية المنهجين التحليلي والوصفي، كما مكّنت هذه المناهج العلمية من تقديم دراسة علمية صوتية ونحوية جديرة بالاهتمام اتصفت بخاصيتين بارزتين نلفي لهما حضورا قويا في أدبيات البحث العلمي المعاصر، نعني بهما : الشمولية والانسجام.[6]

إن الدافع الأساس الذي كان من وراء ظهور البحوث والدراسات اللسانية الهندية القديمة وتطورها هو ديني محض؛ إذ لولا الحفاظ على المقدس لغة وعقيدة ونصوصا لما كان للهنود حظ في هذا الإسهام العلمي العالمي الذي أثر تأثيرا واضحا في البحوث والدراسات اللسانية الأوروبية على وجه التحديد، وذلك

4- Voir, Jean varenne, grammaire du sanskrit, puf, paris,2 eme éd,1979.p 8

5- Voir, j. lyons ,p 18.

6- Voir, j. lyons ,p 19.

منذ اكتشاف اللغة السنسكريتية على يد المستشرق الإنجليزي "وليام جونز ".[7] ثم إنّ هذا الاكتشاف كان هو الأخر عاملا من عوامل تجديد البحث اللساني الغربي،واستطاع معه العلماء اللسانيون الغربيون خاصة في الحقبة التي امتدت من أواخر القرن الثامن عشر الميلادي إلى العصر الحديث أن يعيدوا النظر في العديد من المناهج والطرائق البحثية التي كانت سائدة عندهم في دراسة اللغة عموما واللغات الأوروبية خصوصا، من قبيل المقارنة والتأثيل والتأريخ والتحقيق ...الخ.

كل هذا جعل علماء اللسانيات الغربيين يحكمون على وجود علاقات قرابة متينة وقوية بين اللغة السنسكريتية واللغات الأوربية الحديثة على جميع المستويات اللسانية من صوتية وصرفية ونحوية وأسلوبية ودلالية، وبهذا الاعتبار وضع اللسانيون في العالم الغربي فرضيات عمل عديدة قصد بلوغ أهداف علمية وتحقيق نتائج يقينية في ذلك، فكان أهم هذه الفرضيات اللسانية - التي مازالت من الأوليات الميتودولوجية في البحث الفيلولوجي- فرضية العائلة

7- Voir, R. H. Robins , Brève histoire de la linguistique, tr ; Maurice Borel, éd du seuil, paris,1976.p 139.140.

الهندوأوروبية[8]، بوصفها الأصل الأول المشترك بين السنسكريتية واللغات الأوروبية .

8- Voir, Henriette Walter, l'aventure des langues en occident, éd Robert Laffont .S.A. paris, 1994 .p 11.

المحاضرة الثانية :

تتمة

2/النحو الهندي:

يمكن تحديد أهم المجالات اللسانية التي بحثها اللسانيون الهنود القدامى في الصوت والصرف والنحو والدلالة، إلاّ أن أكثر ما اهتم به الهنود من بين هذه المجالات هو النحو،ثم الصوت والدلالة بصورة أقل.

لقد حظي النحو باهتمام كبير من قبل النحاة الهنود القدامى، واشتهر بذلك جمع معتبر من النحاة والعلماء البارزين باللسان الهندي، بحيث كان لهم الأثر البالغ في تطوير الدراسات النحوية الهندية خاصة، والدراسات اللسانية الغربية عامة، تعد الأعمال النحوية الهندية المرتبطة باللغة السنسكريتية من أهم ما أنتجه أولئك العلماء الهنود،على غرار المؤلفات،النحوية لكل من "بانيني"،و "ياسكا" و "بتنجالي"، وغير هؤلاء ممن لم تذكرهم المصادر التاريخية هذا في جانب، وفي جانب أخر يمكننا رصد أهم

الأعمال النحوية الهندية التي درست السنسكريتية في الآتي:

لقد قسم النحاة الهنود الأجناس إلى ثلاثة هي جنس المذكر، وجنس المؤنث، وجنس المحايد. والحق إن هذا التقسيم الثلاثي نلفي له حضورا في اللغات الإنسانية كلها؛ لذا هو بالشيء الذي تفرد به الهنود من دون سواهم، والمقابل قاموا بتقسيم أجزاء الخطاب إلى الاسم والفعل والحرف والصفة، إلا أنهم قسموا الفعل في السنسكريتية إلى أربعة أقسام هي: الماضي، والماضي الذي حدث لتوّه، والحاضر والمستقبل[9]. كما اهتم الهنود بدراسة الجملة أو التركيب في اللغة السنسكريتية، وبحثوا خاصة العلاقة التي بين دلالة الجملة باعتبارها كلاًّ، والكلمة من هي جزء منها، فعلى سبيل المثال عدّ النحوي الهندي " بَهَرْتَرَهَارِي " الجملة عبارة عن ملفوظ فردي ناقل لمعناه في وضوح دقيق[10]، كما وجد في لغتهم السنسكريتية تقسيما نحويا آخر يتعلق بمكونات الجملة والتراكيب؛ يقول جون لينز :" لقد عرف نحاة السنسكريتية علاوة على ذلك قسمين آخرين لأجزاء الخطاب اللذين يمكننا ترجمتهما إلى

9- ينظر، أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند الهنود،.ص 20. وينظر أيضا :

.J. Varenne, Grammaire du Sanskrit, p112.115

10- Voir, R. H. Robins , Brève histoire de la linguistique,.p 145.

المصطلحين الآتيين: حرف الجر، واسم الفاعل"[11]،فضلا عن ذلك وجدت في المؤلفات النحوية الهندية القديمة التي عثر عليها اللسانيون الغربيون، تقاسيم نحوية أخرى تتصل تارة بالزمن، وتارة أخرى بالتراكيب، وتارة ثالثة ببعض المقولات النحوية[12]،وكل هذا جعل العلماء يؤكدون على أن إسهامات النحاة الهنود قديما عبر دراستهم للغة السنسكريتية كانت جديرة بالاهتمام والبحث والتحقيق.

ثم إنّ الشاهد على ريادة تلك الأعمال والإسهامات اللسانية عموما والنحوية خصوصا ،يتجلى في معرفة أشهر الشخصيات العلمية التي كانت حاملة لواء البحث والدراسة العلمية للغة السنسكريتية، لذا يكون من المستحسن أن نعرج على ذكر أبرزها مراعين في ذلك التسلسل الزمني:

- **ياسكا yask :**

قيل: إنه كان قبل بانيني، وقيل: إنه كان معاصرا له،و الأول أرجح، وكان ذلك بحسب بعض المصادر التاريخية نحو 700

11- Voir, j. lyons ,p 18.

12 – Voir J. Varenne, Grammaire du Sanskrit, p 115.119.

ق.م. تبرز أهمية هذه الشخصية في كونه مؤسسا لعلمي الاشتقاق والتأثيل، وله في ذلك كتاب عنوانه " التفسير " Nirukta [13].

- **بانيني Panini :**

عاش مابين 700 ق.م و 600 ق.م، من أشهر نحاة الهند القدامى، له عدة مؤلفات في اللغة والنحو، عرف منها كتاب واحد عنوانه " Dhatupatha " جمع فيه قائمة بأصول الكلمات أو جذورها،وكتاب أخر بعنوان "Ganapatha "أي: قائمة الكلمات[14]، ولكن أقدم كتاب وصلنا من تأليف بانيني هو كتابه في النحو، وقد قسمه إلى أربعة فصول، وطبع الكتاب بتحقيق Vasu وترجمه، وقد لقي هذا الكتاب اهتماما بالغا في الأوساط العلمية اللسانية والتاريخية الفيلولوجية؛ لكونه أقيم على مادة النصوص المقدسة لدى الهنود القدامى[15] .

- **كاتيايانا Katyayana :**

كان حيا ما بين سنة 500ق.م و350 ق.م، أي عاش بعد

13- ينظر، أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند الهنود .ص 29.

14- ينظر، أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند الهنود .ص 33 .34 .

15- ينظر، أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند الهنود .ص 34 . وينظر أيضا: سيلفان أورو، تاريخ التفكير اللساني،ترجمة بنور عبد الرزاق، دار سينترا ، المركز الوطني للترجمة تونس،ط2010/1. ج511/1- 546.

بانيني، وله كتاب اسمه: Varttikas أي: الشرح، وهو نظم يعد تعليقا على كتاب بانيني وهو كتاب صغير الجرم.[16]

- **بتنجالي Patanjali :**

حوالي 150 ق.م، ألّف كتابا في النحو شرح فيه كتاب بانيني، وانتصر فيه له، ولهذا الكتاب عنوان هو " العمل الشامل أو الشرح الكبير ". هذا ويعد بتنجالي واضع منهج جديد في دراسة النحو، بحيث عالج فيه قضايا نحوية من وجهة نظر منطقية محاولا أن يستخلص النظرية التي تربط القواعد، وبذلك صار النحو على يديه نظاما معينا من الفلسفة.[17]

إنّ إسهامات هؤلاء العلماء في البحث اللساني لم يكن مقتصرا على الحقل النحوي أو الصوتي فحسب، بل كانت كتاباتهم متضمنة للعديد من القضايا اللسانية ذات الصلة بالحقول اللغوية الأخرى، من قبيل الدلالة والأسلوب والصرف، باعتبار أن الاهتمام بالجانب النحوي في أي لغة من اللغات يفضي إلى ضرورة التطرق إلى قضايا صوتية وصرفية وبلاغية ودلالية ومعجمية[18] متضمنة

16- ينظر، أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند الهنود .ص 39 .

17- ينظر، أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند الهنود .ص 41-42.

18- ينظر في هذا الصدد: - R. H. Robins , Brève histoire de la linguistique,.p 144 -150.

أو ظاهرة في المستوى النحوي، وهو عين ما عرفته البحوث اللسانية في الهند القديمة.

بناء على ذلك اعتبر اللسانيون الغربيون خاصة أن ما تم إنجازه من بحوث لسانية في اللغة السنسكريتية هو المبدأ الأول والقاعدة الصلدة لكل الدراسات والنظريات والتصورات اللسانية التي شهدتها أوروبا منذ القرن الثامن عشر إلى فجر الثورة اللسانية الكبرى التي مثلتها اللسانيات البنوية في بداية القرن العشرين.

المحاضرة الثالثة :

البحث اللساني لدى الإغريق.

- **تمهيد:**

يعد التأريخ للفكر اللساني الإغريقي أسهل بعض الشيء بالموازنة مع التأريخ للفكر اللساني الهندي، نظرا لتوافر وثائق ومؤلفات يونانية قديمة، سجلت هذا التفكير اللساني؛ إذ المعلوم بداهة أن اليونان كانت لهم اهتمامات واضحة جدا بالفكر والفلسفة عموما، وهذا من شأنه أن يضمن لهم تفكيرا لسانيا نوعيا وخاصا بهم، كما يمكّنهم من تدوينه بيسر. فضلا عن ذلك امتلاكهم لمؤلفات لغوية يونانية مستقلة.

تجلّت البحوث اللسانية اليونانية القديمة في العديد من السياقات العلمية والفكرية، إلّا أنها كلها غلب عليها الطابع الفلسفي والمنطقي، فكانت لا تبدو بحوثا لسانية خالصة لأجل ذلك. فهي في عمومها لم تخرج عن الحقول أو المباحث اللسانية التي نليفها في أي تفكير لساني أخر،من حيث أُقتُصِر فيها على الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والأسلوبية، مع صياغة

فلسفية أو منطقية في أغلب الأحيان.

اهتم اليونانيون بلغتهم، فدرسوها من حيث بنيتها ونشأتها، ولم يكن لديهم اهتمام واضح بتاريخ اللغة ولا بالمقارنة بين اللغات عموما[19]، بيد أننا يمكننا حصر أهم الموضوعات اللغوية التي درسها اليونانيون على النحو الآتي:

1/ نشأة اللغة:

تعد قضية نشأة اللغة من أهم القضايا اللسانية التي ناقشها الفلاسفة اليونان قديما، وقد عرفوا جراء ذلك النقاش الفلسفي مذاهب وتيارات فلسفية،وأخرى تأملية في أصل نشأة اللغة، ولعل من أبرزها وأكثرها حضورا في الفكر اليوناني القديم ، تيارين أثرا تأثيرا قويا في تحديد وتوجيه مسار الفكر اللساني اليوناني بوجه عام، بحيث صارا يمثلان المنهجين اللسانيين اليونانيين اللذين يُتخذا في البحث اللساني حينها. إنهما: تيار التواضع أو الاصطلاح، وتيار الطبيعة. وهذا مبني على طبيعة السؤال الفلسفي الذي طرحه الفلاسفة اليونان قديما المتمثل في البحث عن أصل اللغة الإنسانية

19- ينظر: جورج مونان ،تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة: بدر الدين القاسم،جامعة دمشق،1972.ص 83.

هل هي من صنع الطبيعة أم إن البشر تواضعوا عليها؟

أما بالنسبة **للتيار الأول** فإنه يؤمن بأن اللغة في أصل نشأتها ارتبطت بالإنسان، وهو الذي تواضع عليها بحسب الحاجة والضرورة، ومن ثم تحولت اللغة إلى شيء متفق عليه بين أبناء الجماعة اللغوية الواحدة، فالتواضع بهذا الاعتبار هو عقد اجتماعي خاص، أو هو في أبسط دلالاته مجموع الأعراف والتقاليد اللغوية[20] التي توصل إليها الإنسان مع مرور الزمن، فاللغة في هذا المذهب الاصطلاحي – إذاً – هي نتيجة تلك الأعراف والتقاليد بين الجماعة اللغوية المعينة من حيث هي أمر متفق عليه بينهم [21]. بناء على هذا الطرح ستكون اللغة غير مرتبطة بنواميس خارجة عن نطاق الإنسان، ولا هي مما لا يمكن التحكم فيه؛ لأنها وليدة عرف اجتماعي اتفق عليه، بأن يكون أداة تواصل يستخدمها المرء مع بني جنسه بهذه الصورة أو تلك.

أما بالنسبة **للمذهب الثاني** الذي يؤمن أتباعه بأن اللغة هي من صنع الطبيعة، فإنه لا يرى في أصل نشأة اللغة البشرية أي أثر

20- Voir, John lyons, linguistique générale, p 08.

21- Voir, John lyons, linguistique générale, p 08.

للأعراف أو التقاليد الاجتماعية؛ لأنّ اللغة في نظرهم تخضع لسنن كونية ومبادئ أزلية لا يمكن للإنسان أن يحيط بها، فهي خارج عن نطاق البشر أصلا، لذا هي ليست من اختراعه أو تواضعه، بل اللغة الإنسانية نابعة من مبدإ أبدي[22] لا يتصل بعالم الكون والفساد.

يتبين مما تقدم أن البحث في مسألة أصل اللغة و نشأتها لم يكن محل اتفاق بين الفلاسفة اليونانيين، هذا في جانب، و هو في جانب أخر يكشف عن رؤى فلسفية محضة نُظر بها في اللغة من حيث هي موضوع الدراسة، فالقول بأن اللغة تخضع لمبادئ أزلية ومن ثم هي ليست من صنع البشر هو مجرد دعوى لا يعضدها دليل علمي صريح، وبالمقابل ، فإنّ الجزم بأن اللغة هي من اختراع البشر وتواضعه عليها هي أخرى مجرد دعوى لا تنهض على دليل علمي قطعي. وعليه كانت هذه القضية اللسانية/الفلسفية مدعاة لجدل فلسفي ميتافيزيقي لم يفصل الفصل النهائي في القضية.

وبغض النظر عن جدوى هذا الجدل الفلسفي، فإنه أثمر من جهة توسعة البحث والدخول في مسائل اللغة الفرعية العديد من

22- Voir, John lyons, linguistique générale, p.8.

المباحث اللسانية التي كانت هي الأخرى محل نظر وجدل فلسفيين لدى اليونان في القديم، من بين هذه المسائل اللغوية الفرعية التي أخذت حظا وافرا من البحث والنظر الفلسفي والمنطقي ، مسألة الدال والمدلول عليه والعلاقة التي بينهما.

2/ الدال والمدلول عليه:

تبعا لذينك المذهبين سيُنظَر في قضية الدال والمدلول عليه،ومن ثم العلاقة التي تجمع بينهما. فعلى القول بأن اللغة هي من صنع الطبيعة ستكون النظرة إلى العلاقة التي بين ثنائية الدال والمدلول عليه هي علاقة تطابق تام بينهما، أي هي علاقة بديهية[23]عند التأمل فيها، وعليه فإن أصحاب هذا الرأي يعتقدون في العلاقة التي بين الدال والمدلول عليه أنها طبيعية،أو بمعنى أخر ؛ للألفاظ رابطة فعلية ومباشرة بالأشياء التي تدل عليها في العالم ،بالمقابل، يعتقد الفريق الأخر ممن قال بأن اللغة تواضع واصطلاح أن العلاقة بين الدال والمدلول عليه هي اعتباطية،[24] بمعنى لا يمكن إدراك حقيقتها من حيث هي علاقة تربط بين صوت ومفهوم،

23- ينظر أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور،ص 16.

24 - Voir, R. H. Robins , Brève histoire de la linguistique,.p 22-23.

وعليه فليس بالضرورة أن يشير كل لفظ باعتباره صوتا إلى شيء أو مسماه كما هو في الطبيعة، لأن اللغة أصلا اتفاقية.

لقد نتج عن هذا الجدل الفلسفي في قضية الدال والمدلول عليه ولادة علم جديد في الحضارة اليونانية قديما ،تجلى في بحث أصول معاني الكلمات،وهو ما بات يعرف بعلم التأثيل أو الإيتمولوجيا، وقد أفضى بهم إلى تحديد العديد من المباحث اللسانية ذات الصلة باللغة اليونانية خاصة على مستوى الألفاظ التي تستعمل في اللغة اليونانية قصد الوقوف على منبتها الأول الذي يرجعها إلى أصلها البدئي. ولم يتوقف البحث اللساني لدى اليونان عند هذا المستوى اللفظي والتأملي ذي الطابع الفلسفي الخالص، بل تعداه فيما بعد إلى مستويات لسانية أخرى،خاصة النحو والبلاغة والدلالة،ومعرفة مظاهر ذلك كله يتوقف على معرفة إسهامات أبرز الفلاسفة اليونان في التنظير لذلك، ويمكننا التركيز على شخصيتين لهما التأثير الكبير في الفكر اللساني اليوناني خاصة والعالمي عامة ، هما أفلاطون وتلميذه أرسطو؛ لأنهما تركا مؤلفات فلسفية وعلمية ولسانية تنم عن مستوى فكري ثري وعميق أمعن النظر في مختلف الظواهر والقضايا اللسانية في ذلك الزمان.

المحاضرة الرابعة :

تتمة

3/ النحو الإغريقي:

- **أفلاطون :**

يعد من أكبر الفلاسفة اليونان بلا منازع، وهو صاحب المذهب العقلاني في الفلسفة والعلم، وقد أثرت أفكاره تأثيرا واسعا قديما وحديثا ومازالت لحد الآن، ومعلوم أن أفلاطون كان صاحب مشروع فلسفي وعلمي كبيرين، وقد جسّد أفكاره في العديد من مؤلفاته الفلسفية في صورة محاورات دارت بين سقراط ومخالفيه.

تكاد تجمع كتب تاريخ الفلسفة واللسانيات معا على أن أراء أفلاطون اللسانية أفصح عنها في محاورات كراتيل، وهي محاورات كان موضوعها فلسفة اللغة، إذ ناقش فيها أفلاطون قضايا لغوية خالصة بخلاف مؤلفاته الأخرى التي تميزت بتداخل المباحث الفلسفية والتيولوجية والمنطقية بالمباحث اللغوية.

تطرق أفلاطون في محاورات كراتيل إلى سائل لغوية هامة منها

مسألة الأسماء، وقد عالجها من زوايا متعددة، مثلا من جهة الطبيعة والاصطلاح، وكذلك من وظيفتها وإطلاقها وملاءمتها لمسمياتها[25]، وكذلك تطرق إلى علاقة هذه المسألة اللغوية بالوجود عموما، ناهيك عن بيانه عن وظيفة الأسماء التي حصرها في نقل المعلومة عن الأشياء وتوصيلها من فرد إلى فرد آخر ،لأن الأسماء جزء من الكلام أو اللغة، وهو وسيلة للتمييز[26]، فضلا عن ذلك، نلفيه يناقش قضية أصل اللغة الإنسانية من حيث هي خلق إلهي أو وضع بشري،وذلك في سياق حديثه عن مسألة مطلق الأسماء[27].

وقد بحث أفلاطون مسألة الاسم والمسمى بناء على نظريته في المحاكاة،وتوصل حينها إلى أن الاسم هو محاكاة لطبيعة المسمى، وعليه ليس هو عين المسمى[28]، وهذا كله تماشيا مع نظريته المثالية التي قررها في كتاب الجمهورية[29]. وهنا يستقر أفلاطون على النتائج

25- ينظر: أفلاطون، محاورة كراتيليوس، في فلسفة اللغة، ترجمة ودراسة تحليلية عزمي طه السيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة. عمان الأردن،ط1/1995.ص 91. 92.

26- ينظر: أفلاطون، محاورة كراتيليوس، في فلسفة اللغة (الدراسة) ص 37. 38.

27- ينظر: المرجع نفسه، (الدراسة) ص 41. 42.

28- ينظر: المرجع السابق نفسه.ص 65. 68.

29-Voir, Platon, la république, traduction de Pierre Pachet, Gallimard, paris.1993. livre vi. P 352.

الآتية:

- الاسم في حالته المثلى نوع من المحاكاة للشيء المسمى من خلال الحروف والمقاطع.
- الاسم غير الشيء المسمى.
- معرفة حقيقة الاسم لا توصلنا إلى معرفة حقيقة الشيء المسمى،[30] وهنا تتجلى الأبعاد الفلسفية الوجودية، أو بمعنى آخر، ربط دراسة اللغة عموما ودراسة الأسماء خصوصا بمعرفة الوجود، أي: هل توصل اللغة والأسماء إلى معرفة حقيقة هذا الوجود[31]؟

ومن جانب أخر، فقد تطرق أفلاطون إلى دراسة المقولات النحوية، وقسمها إلى قسمين هما: الأسماء والأفعال، ولهذا التقسيم أصول منطقية بينة تتجلى في ثنائية المحمول والموضوع، ثم عدل بعد ذلك عن هذا التقسيم إلى تقسيم أخر هو الأسماء والصفات[32] وعلى هذا المعيار رتب أفلاطون المقولات النحوية.

30- ينظر: أفلاطون، محاورة كراتيليوس، في فلسفة اللغة (الدراسة).ص 68.

31- ينظر:المرجع نفسه، ص 73.

32- Voir, John lyons, linguistique générale, p12.

- **أرسطو:**

هو تلميذ أفلاطون، ومخالفه في أرائه، لذا يعد أرسطو من أكبر الفلاسفة الذين أثروا بأرآئهم في الفكر الإنساني عموما، ووضعه للمنطق الصوري يكفي دليلا في بيان الأثر الذي خلفه في الفلسفة والعلم معا. لقد تبنى أرسطو مذهبا فلسفيا فريدا بالموازاة مع ما كان شائعا يومها، لذا ستكون آراؤه متميزة ليس فقط في الجانب الفلسفي بل كذلك في الجانب اللغوي من حيث إن أرسطو كان صاحب مشروع فلسفي وعلمي متكامل.

إن الذي يعنينا من فلسفة أرسطو هو جانبها اللغوي، وقد تجلى ذلك بوضوح في العديد من المؤلفات التي تركها، وهي وإن كانت غلب عليها الطابع الفلسفي الخالص إلا أنها تضمنت مذهبه ورؤيته اللغوية؛إذ لا يخفى على كل مهتم بالفلسفة اليونانية عموما والأرسطية خصوصا أن أرسطو قد خصص مؤلفات في موضوعات لغوية وأدبية ونقدية، وقد ضمنها آراءه التي اتخذت فيما بعد منهاجا استنارت به معظم البحوث اللغوية والأدبية التي أعقبته خاصة في جانبها الغربي.

إن من أهم هذه المؤلفات التي خصصت لدراسة قضايا

لغوية كتاب الشعر وكتاب الخطابة، فضلا عن مناقشة مسائل لغوية شتى في كتبه المنطقية. لقد حافظ أرسطو على التقسيم الذي قدمه أفلاطون في شأن الأسماء كما سبق القول،بيد أنه أضاف إليه قسما ثالثا باعتباره مقولة مستقلة هو ما أطلق عليه "**المحايد**" وذلك في سياق الحديث عن الجنس المذكر ،والجنس المؤنث، فرأى بأن هناك فئة من المقولات لا هي مذكر ولا هي مؤنث[33]فجعلها محايدا.

هذا، وقد أضاف قسما أخر لا يقل أهمية في الدراسات النحوية خاصة، بل هو عمدتها، نعني به مقولة " الزمن"؛ إذ لاحظ ذلك عند تأمله في أفعال اللغة الإغريقية، إذ إن بعض التغيرات المنتظمة لصيغ الأفعال يمكن أن تكون في علاقة مترابطة مع حدوث هذه المفاهيم الزمنية مثل الماضي والحاضر والمستقبل[34]. علاوة على ذلك نلفيه يخصص فصلا لمناقشة بعض المسائل اللغوية الفرعية في كتابه الشعر من زوايا مختلفة من ذلك تطرقه للمباحث الصوتية، بحيث عرف الحرف على أنه صوت لا يتجزأ،

33- Voir, John lyons, linguistique générale, p12.

34- Voir, ibid., p12.

وأنه يحظى بطبيعة خاصة تتجلى في قابليته لأن يكون في تركيب صوتي معقد[35]، كما تطرق أيضا إلى مبحث الأبجدية وبيّن بأنها مكونة من حروف متنوعة هي الحروف الصامتة،والحروف المتوسطة والحروف الصائتة،ثم بيّن حدَّ كل نوع من أنواع هذه الحروف[36]، وذكر صفاتها وطريقة نطقها.

بالإضافة إلى المباحث الصوتية نلفي أرسطو يخصص للمباحث النحوية حيزا معتبرا، وقد تجلى ذلك في التقاسيم التي قدمها فيما له صلة بمبحث الأسماء والأفعال والحروف، فجعل الأسماء مثلا بسيطة ومركبة، وعرّف البسيطة بأنها أسماء ليست مركبة من أجزاء دالة، في حين بيّن بأن الأسماء المركبة هي التي تتركب من أجزاء دالة وغير دالة أيضا، وقد تتركب من اثنين أكثر[37].وكما هو معلوم من فلسفة أرسطو أنه كان يرمي إلى تحقيق مشروع فلسفي وعلمي يشمل جوانب الحياة الإنسانية كلها، لذا ليس من الغريب أن نصادفه يعالج قضايا لغوية هي من صميم

35- Voir, Aristote, la poétique, texte établi et traduit par J.Hardy, les belles lettres, paris 2éd, 1995. P58.

36- Voir, ibid., p59.

37- Voir, ibid., p61.

البحث البلاغي، على غرار الاستعارة[38] التي أفرد لها مجالا واسعا جدا في غير ما موضع من كتبه مثل الخطابة والشعر.عموما لم يستثن أرسطو من بحوثه الفلسفية والمنطقية المباحث اللغوية من صوتية ونحوية وبلاغية ودلالية، فضلا عن مناقشته لقضايا للغوية عامة مثل أصل اللغة البشرية واللغة والفكر من جهة العلاقة التي تربط بينهما، وإشكالية الدال والمدلول عليه، وشاهد هذا الإنجاز والاهتمام الأرسطي باللغة ومباحثها الفرعية هو الإقبال على دراسة أرائه اللغوية بمثل ما كان الإقبال على أراه الفلسفية والعلمية والمنطقية، عند مَن عقبه من الباحثين والفلاسفة والعلماء، على غرار الرواقيين[39] الذين عكفوا على دراسة علم أرسطو فأضافوا إليه أشياء كثيرة وحوَّروه ونقَّحوه واستدركوا عليه في مواضع كثيرة،وهم في كلّ ذلك يطوِّرون المذهب الأرسطي في عمومه وخصوصه.

38- Voir, Aristote, la poétique, p 61.62.

39- ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 20.

المحاضرة الخامسة :

البحث اللساني لدى العرب.

- **تمهيد:**

لم تكن العرب أمة علم في جاهليتها، بل كان علمها رواية الشعر ونظمه،فضلا عن بعض المعارف المتعلقة بالكهانة والسحر، إلا أنها تحولت إلى أمة حاملة للواء العلم والمعرفة بالإسلام، فقد فتح الله على العرب خاصة بالعلم الذي تضمنه القرآن الكريم،فهو منبع العلوم كلها نقليها وعقليها،وبه استطاعت الأمة العربية والإسلامية أن تتحكم في العالم بأسره علميا ومعرفيا وفكريا وسياسيا واقتصاديا، إذ القرآن الكريم هو المفتاح الذي فتح الله به على هذه الأمة مغاليق العلم والفكر فاحتلت صدارة الأمم قاطبة .

وكما هو معلوم من تاريخ العلم العربي والإسلامي أن القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، كانت ومازالت هي المحرك الأول للبحث العلمي لدى العرب، فكانت الدراسات العلمية التي توصل إليها العقل العربي والإسلامي في شتى الميادين نابعة من امتثال أوامر القرآن الكريم في الحث على البحث العلمي

والتفكر في مخلوقات الله تعالى، فضلا عن ذلك، حرص العلماء العرب والمسلمين على حماية القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم من التحريف أو التبديل مما ينعكس سلبا على الحياة العامة والعلمية للإنسان المسلم. فنتج عن ذلك أن برزت علوم عربية أصيلة تفردت بها الأمة العربية والإسلامية.

وكان من دواعي هذا الاهتمام والحرص على حماية القرآن الكريم وسنة النبي عليه الصلاة والسلام، الاهتمام بلغة القرآن التي هي لغة العرب، وقد أفضى هذا إلى نشوء دراسات وبحوث لسانية عربية متميزة بعمق التحليل والتنظير.

سجّل لنا تاريخ الفكر اللّساني العربي أسباب نشوء البحوث اللّسانية العربية، وما هي الظروف والسياقات التي حفته، وهناك إجماع على أنّ السبب الرّئيس في ذلك هو ظاهرة اللّحن[40] التي مسّت القرآن الكريم ومن ثَمَّ مسّت اللغة العربية، فبقدر ما كان اللحن يشكل مظهرا سلبيا في استعمال اللغة العربية بخلاف ما كانت العرب تتكلمها،فإنه من جانب آخر كان دافعا مباشرا

40- ينظر: أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين،تقديم وتعليق محمد زينهم محمد عزب، دار الأفاق العربية، مصر.ط2003/1423 ص15.

لنشاط حركة التأليف في علوم اللغة العربية، فبرزت إلى الوجود المصنفات الصرفية والنحوية والبلاغية والصوتية التي ارتبطت مباشرة بأداء التلاوة على الوجه الصحيح، فضلا عن ذلك ظهر عصر متميز أطلق عليه عصر التدوين باعتباره المرحلة الزمنية التي نشط فيها جمع اللغة العربية من الأعراب عبر السماع العلمي[41] وسن الرحلة إلى الصحراء لمشافهة الأعراب الخلص الذين بقوا محافظين على فصاحة اللسان، كل هذا لأجل الخروج بقواعد لسانية عربية أصيلة صافية من كل شائبة قد تعلق بها بسبب انتشار اللحن وتفشيه في المجتمع العربي حينها.

وهكذا نشأت علوم اللغة العربية ابتداء من التصنيف في حقل اللغة من حيث هي مفردات في صورة معاجم وقواميس ثم الدراسات الصوتية والعروضية مرورا بالدراسات النحوية والصرفية، ثم البلاغية والأسلوبية والنقدية. وعليه يمكننا تتبع المنجز اللساني العربي من حيث نشأته وتطوره والتأليف فيه وأشهر علمائه على النحو الآتي:

41- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موفم للنشر الجزائر، ط 2007. ص 251.

• النشأة والهدف :

تقدم أن السبب الأول في نشأة الدرس اللساني العربي قديما هو تفشي ظاهرة اللحن، مما شكّل تهديدا مباشرا للغة العربية من حيث هي لغة التواصل في المجتمع العربي،وكذلك الخشية على القرآن الكريم من أن يطاله اللحن فيفسد تلاوته وإعرابه، فجعل العلماء يجتهدون في إيجاد الحل العلمي المناسب للقضاء على هذه الآفة اللغوية التي باتت تؤرق العلماء، وهو ما تجسّد في وضع علوم لغوية مؤسسة على القرآن الكريم وسنن العرب في كلامها؛ بحيث لا يمكن أن يحيد عنها كل من أراد التكلم بلغة العرب على الطريقة العربية الصحيحة، ومن هنا يتبن بأنّ الغاية الأولى من جرّاء التأليف اللغوي العربي هي غاية تعليمية بامتياز.

إذاً، كان المنطلق في ظهور الفكر اللساني العربي منطلقا دينيا بحتا، وهو الحفاظ على قداسة القرآن الكريم وحمايته من كل ما يجعله عرضة للتحريف أو التبديل، نحوا وصرفا وصوتا وأداء وبلاغة وإعرابا ودلالة وأسلوبا؛لأن القرآن الكريم نزل بإعراب فلا يتلى إلّا بإعراب كما أُنزل؛قال أبو حاتم السجستاني(255 هـ) في هذا الصدد ما نصه: " الفصاحة زينة ومروءة، ترفع الخامل

وتزيد النبيه نباهة، ويقال:المرء مخبوء تحت لسانه. يعني إذا نطق فأحسن وأفصح عظُم في العيون،وإن كان رثّ الهيئة تقتحم العين مرآته. وإن أنّث المذكر أو ذكّر المؤنث، وجعل الضاد ظاء أو الظاء ضادا، اقتحمته العينُ وإن كان بهيّ المنظر والملبس...ومعرفة التذكير والتأنيث ألزم من معرفة الإعراب، وكلتاهما لازمة "[42]،ثم بيّن بأنّ العرب قد تركت بعض الإعراب لغرض هي تقصده، ولكن بعد ذلك "أطبق على ترك أكثر الإعراب أكثرُ أهل القرى والأمصار، وذلك تضييع وتقصير، ألا ترى أنّ القرآن لا يقرأُ إلا بإعراب لأنه نزل بإعراب؟ ويقال: إنّ اللّحن يقطع الصلاة... وكانت لغة الرّسول صلوات الله عليه وأصحابه الفصاحةَ طبعا لا تعليما"[43]. ففي هذا النص دلالة واضحة على أنّ السبب الرئيس من التأليف في علوم العربية يرجع إلى ظاهرة اللحن التي صارت تهدد كيان القرآن الكريم واللغة العربية التي بها أنزل، كما أن هذا النص يتضمن الغاية من التأليف في هذا الموضوع الفرعي-وهو المذكر والمؤنث- باعتبار أن اللحن لم يكن

42- أبو حاتم السجستاني، المذكر والمؤنث، تحقيق صالح حاتم الضامن،دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر بيروت،ط1/1418-1997.ص 33.

43-أبو حاتم السجستاني، المذكر والمؤنث،.ص 34.

مقتصرا على ترك الإعراب فقط؛ بل تعداه إلى قلب المذكر مؤنثا والمؤنث مذكرا، وفي هذا مخالفة صريحة لسنن العرب في كلامها وخروج واضح على ضوابط اللغة العربية التي اختارها الله لأن تكون لغة كلامه الذي هو القرآن الكريم. فاللحن في اللغة هو لحن في تلاوة القرآن؛لأن علاقة التلازم التي بينهما تجعل اللاحن في أحدهما لاحنا في الأخر.

أمام هذا الوضع اجتهد العلماء العرب في وضع تأليف جامعة للقواعد اللغوية العربية مستندين في ذلك إلى القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والقراءات القرآنية المتواترة وكلام العرب شعرا ونثرا، فكانت هذه هي المصادر التي اعتمد عليها العلماء في حماية اللغة العربية وحماية القرآن الكريم تباعا.فكل ما توصل إليه العلماء العرب القدامى في الميادين العلمية للغة العربية من أصوات وصرف ونحو ومعجم ودلالة وتركيب وبلاغة وأسلوب يرجع إلى هذه **المصادر الأساسية** : القرآن الكريم، والقراءات القرآنية المتواترة، والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب الذي تم سماعه وجمعه في دواوين ومصنفات شعرية ونثرية.

لقد تميزت هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الفكر اللساني العربي بالبساطة في صياغة القواعد اللغوية العربية،وتميزت أيضا بكون هذه القواعد لم تكن شاملة وموسعة بحيث استغرقت كلام العرب كله، والحق إن هذا الوضع هو حالة كل فكر أو علم في طور النشأة؛ إذ ليس ممكنا أن يوجد دفعة واحدة، بل لابد من المرور بمراحل تكوينية وتطورية، لأجل هذا تميزت الدراسات اللسانية العربية في مراحلها الأولى باليسر والبساطة التي هي ضد التعقيد؛لأن الغرض الذي كان يرمي إليه العلماء هو غرض تعليمي بدرجة أولى، كي يتمكن غير العربي من أن يلتحق بالعربي في كلامه، وكذلك كي يتمكن من أداء واجباته الدينية بلغة عربية فصيحة أو سليمة من اللحن في أقل تقدير،مثل الصلاة والحج،وتلاوة القرآن الكريم. بيد أنّ علوم اللغة العربية لم تستمر على البساطة التي نشأت عليها، وإنما أخذت بعدا أخر تجلى في الصيغة المعقدة التي ترجع أساسا إلى انفتاح تلك العلوم على روافد علمية وفكرية جديدة لم تكن معهودة في بداية عصر التأليف والتصنيف،فاتسمت بطابع فلسفي في كثير من الأحيان والمواضع فكان أن نتج عن ذلك تبدل الهدف من تعليمي يراد منه تعليم

العربية لغير العرب خاصة، إلى هدف علمي مجرد لا يسعى إلى تحقيق الغاية التعليمية التي ظهرت العلوم العربية لأجلها ابتداء، بل دخلت العلوم اللغوية العربية في جدل فلسفي وفكري حادّين بين علماء المذاهب والمدارس اللغوية والفلسفية والكلامية أيضا وقد انعكس هذا على طبيعة البحث اللساني العربي جملة وتفصيلا[44].

بناء على ذلك برزت العلوم العربية في ميدان اللغة فكان أولها:

- **المعجمية أو صناعة المعجم :**

ارتبطت الدراسات المعجمية العربية في أول الأمر بالبحث عن معاني ودلالات الألفاظ القرآنية،وهو وجه من التفسير الذي صار فيما بعد يدعى بالتفسير اللغوي للقرآن الكريم، ومع مرور الزمن تشكلت النواة الأولى لعلم المعجم أو المعجمية التي تجلت في وضع وصناعة المعاجم اللغوية بطرائق وأنماط شتى من حيث منهجها وغايتها وحجمها كذلك.

44- ينظر: ابن شماني محمد، اللغة العربية من منهج الخبر إلى منهج النظر، مجلة لغة- كلام، تصدر عن مختبر اللغة التواصل جامعة غليزان .الجزائر.المجلد 7/ العدد 3 جوان 2021.ص 244-258.

وقد تطور هذا العلم وازدهر في عصر الجمع والتدوين خاصة، حيث نشطت حركة التأليف المعجمي عبر سماع اللغة العربية عن الأعراب،وذلك إما بانتقال العلماء-كما فعل ابن أبي إسحاق الحضرمي(117هـ)،وتلميذاه عيسى بن عمر(149هـ)،وأبو عمرو ابن العلاء(154هـ)،وكذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي(175هـ) وغير هؤلاء كثير[45]- إلى القبائل العربية القاطنة في الصحراء البعيدة عن كل تأثير حضاري أو مدني قد يشوبان لغتها ويضعفانها،والمكوث فيها لمدة من الزمن،وإما بتلقي الأعراب الوافدين على المدن العربية في العراق والشام وسماع اللغة والشعر منهم مباشرة. وسواء أكانت الطريقة الأولى أم كانت الثانية فإن الغرض من ذلك كان جمع اللغة من معينها الصافي، وتدوين اللغة العربية الفصيحة الخالصة في الفصاحة، وقد انجر عن هذا المنهج العلمي الدقيق الذي اتخذه العلماء العرب القدامى في الجمع والتدوين بروز علم المعجم،ونشوء المدارس المعجمية العربية التي اختلفت في المنهج والترتيب والغاية.

ولنا أن نرصد باختصار أهم المدارس المعجمية العربية وأهم

45- ينظر: حمدي بخيت عمران،المفصل في المعاجم العربية،مكتبة زهراء الشرق،مصر،ط2005/1 ص 7.

العلماء الذين ألّفوا وصنّفوا في المعجمية على النحو الأتي :

- 1 معاجم الموضوعات:

يعد هذا النوع من التصنيف البذرة الأولى التي تعكس الوعي العلمي والمعجمي لدى العلماء العرب القدامى،إذ هو أسبق من الصناعة المعجمية التي اهتمت بجمع الألفاظ،لأن الذي جُمع في هذه المهاجم الموضوعاتية كان منصبا تجاه موضوع واحد لا غير، بخلاف ما عليه المعاجم اللفظية. ولعل من أبرز معاجم الموضوعات -أو كما تسمى أيضا برسائل الموضوعات- وأقدمها رسالة خلق الإنسان،ألّفها أبو مالك النميري،ورسالة الحشرات التي ألّفها أبو خيرة الأعرابي[46]، ثم توالت التصنيفات في هذا النوع من المعاجم اللغوية على يد كبار العلماء اللغويين العرب،مثل النضر بن شميل،وأبي حنيفة وأبي عمرو الشيباني، والأصمعي، وأبي عبيدة، وأبي زيد الأنصاري، وابن الأعرابي،وابن السّكّيت وغيرهم.

فقد ألّف هؤلاء العلماء رسائل لغوية تعالج موضوعات خاصة من مثل الإنسان والشجر والنخل والحشرات والمطر والسحاب والبئر

46- ينظر: حمدي بخيت عمران،المفصل في المعاجم العربية،ص17.

والجراد والإبل والخيل والسلاح والوحوش والنبات،والشاء....إلخ. ومن أوسع هذه المعاجم وأكثرها نقلا للغة العربية كتاب الغريب المصنف لأبي عبيد القاسم بن سلاّم(224هـ)[47]،وكتاب الألفاظ لابن السّكّيت(244هـ)[48].

ولم يتوقف التأليف عند هؤلاء العلماء بل تواصل مع جماعة من العلماء اللغويين الذين عقبوهم منهم الفراء وكراع النمل وابن قتيبة والهمذاني وابن فارس وابن سيده، والإسكافي وأبو منصور الثعالبي،وابن الأجدابي،وأبو هلال العسكري؛هؤلاء جميعا ألّفوا معاجم الموضوعات أو بالأحرى طوّروا رسائل الموضوعات إلى معاجم كبيرة مخصصة لموضوعات محددة في صورة حقول دلالية واضحة.

- 2 معاجم الألفاظ:

يمثل هذا النوع من التأليف في المعجمية العربية مدرسة مستقلة ومختلفة عن السابقة، لأن المعاجم التي تم تصنيفها تتميز بجمع الألفاظ اللغوية العربية بعيدا عن الموضوعات الخاصة التي

47- ينظر: أبو عبيد القاسم بن سلاّم، الغريب المصنف، تحقيق رمضان عبد التواب. القاهرة 1989.

48- ينظر: ابن السّكّيت، الألفاظ. تحقيق فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون،ط1/1997.

تؤديها، فهي معاجم موسوعية في ميدان اللغة، ولها منهج فريد في التبويب والترتيب للمواد اللغوية؛ لذا هي مدرسة معجمية تتضمن تيارات أو إن جاز لنا القول مدارس معجمية متنوعة بحسب منهج كل منها،وعليه فهي تشترك في الطريقة العامة التي هي الألفاظ اللغوية ولكنها تختلف في طريقة عرض المواد اللغوية العربية.وقد بلغ عدد هذه التيارات المعجمية العربية خمسة تيارات متميزة على النحو الأتي:

- أ- الترتيب الصوتي

ويقصد به وضع المعاجم اللغوية وتصنيفها بناء على ترتيب مخارج الحروف وصفاتها،وتسمى هذه المعاجم أيضا بمعاجم التقليبات وأشهر من ألّف فيها الخليل بن أحمد الفراهيدي(175هـ)[49]وتهذيب اللغة للأزهري(370هـ)[50]والبارع في اللغة لأبي علي القالي(356هـ)[51]والمحيط في اللغة للصاحب بن عباد(385هـ)[52]والمحكم لابن سيده المتوفى في (458هـ)[53].

49- ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي،العين،تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي،دار الهجرة طهران.ط 1409.

50- ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة. تحقيق عبد السلام محمد هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة.مصر.

51- ينظر: أبو علي القالي، البارع في اللغة، تحقيق هاشم الطعان. مكتبة النهضة بغداد. العراق.ط 1975.

52- ينظر: الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، تحقيق محمد أل ياسين، وزارة الثقافة والإعلام.العراق.ط

- ب- الترتيب الألفبائي:

ويقصد منه تصنيف معاجم لغوية تجمع ألفاظ اللغة العربية مرتبة على الحروف الهجائية للغة العربية،وخير من صنّف في هذا النوع من المعاجم ابن دريد(321هـ)في جمهرة اللغة[54]وأبو عمرو الشيباني(206هـ)في معجم الجيم[55]وابن فارس(395هـ)في مقاييس اللغة[56]وكذلك أساس البلاغة للزمخشري(538هـ)[57].ثم الفيومي(770هـ)في المصباح المنير.[58]

- ج- وضع الكلمة تحت أول حرف فيها:

والمقصود بها أن تجمع الألفاظ اللغوية مرتبة ترتيبا هجائيا إلّا أنها يراعى فيها الحرف الأول من اللفظة من دون الالتفات إلى الزائد فيها،وأشهر هذه المصنفات التي اتّبعت الطريقة المذكورة كتاب غريب القرآن لعبد العزيز السجستاني(330هـ)[59]وكتاب

1981.

53- ينظر:ابن سيده الأندلسي، المحكم في المحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان. ط2000/1.

54- ينظر: ابن دريد،جمهرة اللغة،تحقيق بعلبكي.دار العلم للملايين بيروت لبنان،ط1987/1.

55- ينظر: أبو عمرو الشيباني،معجم الجيم،تحقيق إبراهيم الأبياري، المطابع الأميرية مصر.ط1974.

56- ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون،دار الفكر. بيروت لبنان.ط1979.

57- ينظر:الزمخشري، أساس البلاغة،تصحيح منير محمد المدني وزينب القوصي،دار الكتب.مصر ط1972/2

58- ينظر: الفيومي،المصباح المنير،تحقيق عبد العظيم الشناوي،دار المعارف مصر.ط1977/2.

59- ينظر: أبو بكر السجستاني،غريب القرآن،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.الجزائر.ط 1990.

المقصور والممدود لابن ولّاد المصري(332هـ)[60]ومفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني(502هـ)[61]الجواليقي(540هـ)[62]في كتاب المعرّب من الكلام الأعجمي.

- د- **وضع الكلمة تحت حرفها الأخير:**

هذه الطريقة في التصنيف المعجمي عكس الطريقة التي قبلها،لأنها ترتب فيها الألفاظ اللغوية ترتيبا هجائيا ولكن بمراعاة الحرف الأخير من دون الالتفات إلى الحروف الزائدة فيها، وخير من صنّف المعجم اللغوي العربي على هذه الطريقة البندنيجي اليماني المتوفى سنة(284هـ)في معجمه التقفية في اللغة[63]،وإنما اختار له اسم التقفية لأنه راعى في جمع المفردات اللغوية القافية.

- هـ- **ترتيب الألفاظ بحسب القافية:**

يطلق على هذا النوع من التصنيف المعجمي نظام الباب أو الفصل،أو ترتيب المفردات بحسب القافية مع ضرورة تجريد

60- ينظر: ابن ولاّد، المقصور والممدود،تحقيق عزة حسن،دار الشرق العربي، لبنان،سورياط2008/1.

61- ينظر:الراغب الأصفهاني،المفردات في غريب القرآن، تحقيق سيد كيلاني، بابي الحلبي مصر.ط1961.

62- ينظر: الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي،تحقيق ف.عبد الرحيم،دار القلم دمشق.سوريا.ط1990/1.

63- ينظر: البندنيجي اليماني، التقفية في اللغة، تحقيق خليل إبراهيم العطية،وزارة الأوقاف، بغداد.ط 1976.

الزائد من اللفظة، كما يراعى فيها الأوائل في حالة اتفاق الأواخر مع الأوائل من الحروف، وعليه فأهم خاصية تتميز بها هذه الطريقة في التصنيف المعجمي بكونها تتركز في عرض المفردات اللغوية مبوَّبة على نسق تقاسيم القافية في الشعر العربي.[64]

ومن أشهر مَن اتبع هذه الطريقة الجوهري(393هـ)في معجم الصحاح[65]ومختار الصحاح لعبد القادر الرازي(666هـ)[66] والصاغاني(650هـ)في معجميه الشهيرين التكملة والذيل والصلة[67]، والعباب الزاخر واللباب الفاخر[68]وابن منظور(711هـ)في لسان العرب[69]والقاموس المحيط للفيروز أبادي[70](817هـ)ثم معجم تاج العروس الذي ألّفه الزَبيدي(1205هـ)[71].

64- ينظر: حمدي بخيت عمران،المفصل في المعاجم العربية،ص142.

65- ينظر: الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية،تحقيق، أحمد عطار،دار العلم للملايين،بيروت لبنان.ط1990/4.

66- ينظر: عبد القادر الرازي، مختار الصحاح،تحقيق إبراهيم زهوة،دار الأصالة الجزائر،دار الكتاب العربي لبنان.ط2005.

67- ينظر: الصاغاني،التكملة والذيل والصلة،تحقيق عبد العليم الطحاوي،دار الكتب مصر.1970.

68- ينظر: الصاغاني، العباب الزاخر واللباب الفاخر،تحقيق فير محمد حسن،المجمع العلمي العراقي.ط1978/1.

69- ينظر: ابن منظور، لسان العرب،تحقيق قاسم الكرو ،دار صادر بيروت لبنان.ط2004/3.

70- ينظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط،الهيئة المصرية للكتاب.ط1301/3.

71- ينظر: الزبيدي،تاج العروس من جواهر القاموس،تحقيق أحمد فراج،مطبعة حكومة الكويت،ط1965.

المحاضرة السادسة :

تتمة

- **البحوث الصوتية والصرفية والنحوية العربية:**

بعد أن تم الانتهاء من جمع اللغة العربية في شكل مدونة صالحة للبحث والدراسة العلمية انبرى عديد من العلماء يستنبطون منها القواعد والضوابط اللغوية العربية التي مكنتهم فيما بعد من تأسيس ووضع علوم لغوية عربية أصيلة تجلّت في علوم الأصوات والصرف والنحو والبلاغة،إذ تعد هذه العلوم من أهم المنجزات اللسانية العربية قديما وحديثا،لما تميزت به من دقة وفهم عميق لخصائص اللسان العربي، فضلا عن كونها علوما متطورة جدا من حيث المناهج التي اتبعها العلماء العرب في استنباط القوانين اللغوية العربية، التي تراوحت بين الاستقراء والاستنباط والتعليل وحسن التوجيه والتخريج بما يوافق سنن العرب في كلامها.

لقد تجسدت الدراسات الصوتية العربية في بداية نشأتها في القراءات القرآنية رواية ودراية، فهي بحوث لم تكن مستقلة بل كانت تابعة لعلم القراءات القرآنية عموما،اللهم ما كان منها في

شكل فصول أو ملاحق عادة ما تردف بها كتب الصرف أو النحو العربي، إلى أن جاء عصر إمام العربية أبو الفتح عثمان بن جني(392هـ)الذي جعل من علم الأصوات العربية علما مستقلا قائما بنفسه في كتابه الشهير سرّ صناعة الإعراب[72]، بحيث أعرب فيه ابن جني عن الكثير من القضايا الصوتية العربية ببعديها الصوتي العام والفونولوجي بمفهومه المعاصر؛إذ درس تلك القضايا الصوتية العربية بطريقة فريدة للغاية،قال عنه أحمد مختار عمر: "وأول من أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل،ونظر إليها على أنها علم قائم بذاته ابن جني(...)في كتابه سر صناعة الإعراب الذي تناول فيه الموضوعات الصوتية الآتية:

1 عدد حروف الهجاء وترتيبها ووصف مخارجها.

2 بيان الصفات العامة للأصوات وتقسيمها باعتبارات مختلفة.

3 ما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغيير يؤدي إلى الإعلال أو الإبدال أو الإدغام أو النقل أو الحذف.

4 نظرية الفصاحة في اللفظ المفرد ورجوعها إلى تأليفه من

72- ينظر: ابن جني،سرّ صناعة الإعراب، تحقيق علاء حسن أبو شنب،المكتبة التوفيقية مصر،ط 2012.

أصوات متباعدة المخارج."[73] فكان هذا الكتاب بمثابة دستور الصوتيات العربية، وقد بيّن ابن جني ذلك بقوله: " أن أضع كتابا يشتمل على أحكام جميع حروف المعجم وأحوال كلّ حرف منها،وكيف مواقعه في كلام العرب وأن أتقصّى القول في ذلك(...)وأذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها وانقسام أصنافها وأحكام مجهورها ومهموسها وشديدها ورخوها،وصحيحها ومعتلّها،ومطبقها ومنفتحها وساكنها ومتحركها،ومضغوطها ومهتوتها ومنحرفها ومُشرَبِها ومستوِّيها ومكرّرها ومستعليها ومنخفضها إلى غير ذلك من أحكامها وأجناسها"[74].ثم بيّن بعد ذلك بأنّ البحث في القضايا الصوتية إنما هو بحث في علم قائم بذاته،وليس كما كان قبله تابعا لعلوم أخرى يكون التطرّق فيها إلى علم الأصوات عَرَضَا،وإنما " هذا القبيل من هذا العلم أعني: علم الأصوات والحروف،له تعلّق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنَّغم."[75]،فكما نرى هو يصف البحث في الأصوات والحروف بصفة العلمية،ولم يكن ذاك

73- أحمد مختار عمر، التفكير اللغوي عند العرب، عالم الكتب مصر.ط1988/6.ص 100. 101.

74- ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/23-25.

75- ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/32.

شائعا قبله،و لعل هذا هو المسوِّغ الذي جعله ينسبه إلى نفسه ولم يسبق إليه من قبل.[76]

ثم توالت البحوث الصوتية العربية فيما بعد إلا أنها لم تكن خارجة عن النسق الذي رسمه لها ابن جني في سر الصناعة وفي غيره من كتبه النحوية والصرفية على غرار الخصائص والمحتسب. وعليه سيكون علم الأصوات الدعامة الأساسية التي قامت عليها العلوم العربية المتبقية وفي مقدمتها الصرف والعروض فضلا عن النحو والبلاغة، ولم يكن ذلك حكرا على هذه العلوم اللغوية، بل كان للمباحث الصوتية حضور قوي ومتميز في المصنفات الكلامية والفلسفية،لما للصوت من أهمية بالغة في فهم العديد من القضايا والإشكالات العلمية اللغوية والفلسفية والكلامية معا.

إذ بات من الضروري أن يستعين عالم العروض وموسيقى الشعر بعلم الأصوات لما بينهما من صلة مباشرة خاصة في جانب دراسة الإيقاع والنبر والفواصل والمقاطع الصوتية من صوامت وصوائت وكذا على مستوى الإلقاء،ثم لا ينبغي لنا أن ننسى أن العمل العروضي هو في الأساس عمل صوتي صِرف،لذا نلفي لدى

76- ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج24/1.

علماء العروض وقفات كثيرة عند قضايا ومسائل صوتية خالصة للمناسبة التي بين العلمين الأصوات والعروض.

أما علم الصَرف فليس يختلف عن علم العروض في احتياجه لعلم الأصوات؛لأن العلاقة التي بينهما تجعل من علماء الصرف يولون عناية كبيرة للمسائل الصوتية، فقد أدركوا مدى حاجتهم لعلم الأصوات وأن فهم طبيعة صرف العربية لا تتم إلا بمعرفة المباحث الصوتية، فكانت عنايتهم بذلك شديدة لما يقدمه علم الأصوات من مصطلحات ومفاهيم هي من صميم عمل الصرفي خاصة.[77]

77- ينظر: خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب،منشورات دار الجاحظ،بغداد العراق،ط 1983.ص 4.

المحاضرة السابعة :

تتمة

- **الدراسات النحوية والبلاغية العربية :**

بات من المعلوم من تاريخ نشأة النحو العربي أنّه ارتبط بانتشار ظاهرة اللحن التي مسّت اللغة العربية والقرآن الكريم،مما شجع العلماء على وضع قواعد نحوية تصون اللسان عن الوقوع في اللحن الذي يشوّه المعنى والدلالة والتواصل تباعا، وقد تجسّدت جهود العلماء في العديد من المؤلفات النحوية والصرفية والبلاغية التي كشفت عن خصائص اللسان العربي ومميزاته،وفي هذا العمل دليل على نبوغ فكري عربي في ميدان الدراسات النحوية والبلاغية معا.

لقد أنتج العقل العربي القديم العديد من المصنّفات اللغوية الممنهجة التي صارت فيما بعد علوما قائمة بذاتها، فالنحو الذي بدأ بسيطا في صورة قواعد أولية وضعت بغرض التعليم صار مع مرور

الزمن علما معقدا له مصطلحه ومفهوماته ومصنفاته وأعلامه البارزين، فضلا عن ذلك، تطورت نظرة العلماء إلى القضايا النحوية، بحيث نوقشت بأساليب متعددة ومناهج متنوعة بحسب تعدد وتنوع القناعات والمعتقدات التي كان يتبناها العلماء،ولأدلّ على ذلك من الخلاف النحوي الذي نتج عن تنوع النظر في الظواهر اللغوية.

بالإضافة إلى ظهور المدارس النحوية من بصرية وكوفية وبغدادية ومغاربية أندلسية، وهذا كله كان مظهرا من مظاهر الحركة العلمية النشطة في مجال النحو والتصريف أيضا. فلم تعد المؤلفات النحوية والصرفية مثلما كانت عليه في عهدها الأول من سهولة المأخذ والبساطة في لغة العرض والشرح والبسط، بل صارت مؤلفات بعيدة المنال بالنسبة لمن يروم تعلم اللسان العربي على وفق سنن العرب في كلامها، والعلة في ذلك غرابة التحليل والاتكاء في كثير من الأحيان على الأسلوب الفلسفي والجدل الكلامي في مناقشة المسائل النحوية والصرفية، ناهيك عن التخريجات المفترضة التي لا تتصل بأدنى علاقة بما هو ممارس فعليا من اللغة العربية. كل هذه العوامل أثرت تأثيرا بيّنا في المسار

التطوري للدراسات النحوية والصرفية العربية خاصة في المراحل المتأخرة منها عندما سادت طريقة المتون النحوية التي اتخذت بديلا عن المصنفات النحوية المتقدمة كما هو الشأن مع الكتاب لسيبويه والمقتضب لأبي العباس المبرد وغيرهما ممن ألّف على الطريقة البسيطة المستقاة من واقع لغوي مراسي فعلي.

وهكذا تحوّلت المؤلفات النحوية الموجهة إلى التعليم إلى رموز ملغزة لا يمكن فكّها إلّا بجهد كبير أو بشيخ معين. وفي هذا ما يشير إلى أن الهدف التعليمي الذي كان مسطرا في المراحل الأولى للدرس النحوي العربي لم يعد هو الهدف أمام تعقد المسائل النحوية واللغة التي بها دوِّن مما أفرز مشكلة عسر النحو على التعلم والتعليم التي مازالت قائمة إلى يوم الناس هذا.

خلاصة الأمر هي أن الدرس النحوي العربي- إن جاز لنا القول- قد مرّ بمرحلتين كبيرتين[78] تجلت الأولى في طبيعة المصنفات النحوية التي تميزت بالبساطة في العرض والشرح وسهولة المأخذ، ووضوح الهدف الذي انحصر في التعليم فقط، في حين تجلت المرحلة الثانية في المصنفات النحوية التي تميزت

78- ينظر: ابن شماني محمد، اللغة العربية من منهج الخبر إلى منهج النظر.ص 244-258.

بالتعقيد في لغة العرض والشرح والمصطلح أيضا، فضلا عن شبه التخلي عن الهدف التعليمي الذي عوض في العديد منها بهدف علمي تارة وفلسفي جدلي تارة أخرى،وبذلك دخل النحو العربي مرحلة المتون النثرية والمنظومات الجافة مما استلزم وضع شروح عليها، فاحتاجت تلك الشروح إلى شروح وتعليقات أخرى، أو ما بات يعرف بعصر الحواشي والتعليقات.

أما **البلاغة العربية** فهي الأخرى لم تختلف في مسارها التكويني عن النحو العربي، مع فارق في سبب النشأة، ذلك أنها ارتبطت أكثر بفهم القرآن الكريم خاصة فيما له صلة بتأويل آيات صفات وأسماء الله تعالى، بالإضافة إلى قضية الإعجاز في القرآن الكريم.

فكان من نواتج ذلك أن احتدم الصراع بين أرباب المقالات الفلسفية والكلامية من معتزلة وأشعرية وأهل السنة والماتريدية والشيعة والخوارج وغيرها من الطوائف الإسلامية. فتولد عن ذلك السجال العلمي والفكري مصطلحات ومفاهيم بلاغية ونقدية لم تكن معلومة لدى العرب قبل ذلك، كما صنفت الكتب والمؤلفات البلاغية والنقدية التي أصّلت لفكر بلاغي عربي متميز،

فبقدر ما كان السجال العلمي شديدا بين العلماء والفلاسفة في قضية الإعجاز وبقدر ما كان ينظر إليه بعضهم نظرة سلبية عكرت صفاء الفكر الإسلامي،بقدر ما كان ذلك كله ثراء وتنوعا فكريا ذا مستوى علمي عال جدا، وخير دليل على هذا، هو تلك المصنفات البلاغية والنقدية التي تمثل أكبر الاتجاهات والمدارس الفكرية الإسلامية، من ذلك مؤلفات الأشاعرة الذين قرروا فيها مذهبهم البلاغي والنقدي المستند إلى أصول المعتقد الأشعري، إذ تكفي الإشارة إلى أبي الطيب الباقلاني[79](403هـ)في كتابة إعجاز القرآن الذي يرد فيه على كثير من الفرق الكلامية في قضية الإعجاز ، وعبد القاهر الجرجاني(474هـ) في كتابيه الشهيرين دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة[80]والفخر الرازي(606هـ)في نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز[81]وفي مواضع كثيرة من تفسيره للقرآن الكريم،وغير هؤلاء كثير ممن كان ينافح عن الأصول الأشعرية في ميدان البلاغة والنقد الأدبي من المتقدمين والمتأخرين.

79- ينظر: الباقلاني، إعجاز القرآن،تحقيق أحمد صقر،دار المعارف مصر،1971.ص 254. 294. 296.

80- ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد التونجي،دار الكتاب العربي. بيروت ط2005/1.ص 205. = وأسرار البلاغة،تحقيق عبد المنعم خفاجي، مكتبة الإيمان مصر.ص 363. 394.

81- ينظر: الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق حجازي السقا،دار الجيل بيروت.ط1992/1.ص 54- 59.

بالمقابل لم يكن المعتزلة في معزل عن مجريات هذه الحركة الفكرية والفلسفية المتجسّدة في صورة سجال علمي بينهم وبين غيرهم ممن يخالفهم المعتقد،بل كان لهم إسهام قوي جدا في التأصيل للبلاغة العربية،بيد أنها من وجهة نظر معتزلية خالصة، وقد مثّل الجاحظ(255هـ)التوجه المعتزلي غاية التمثيل في جانبه البلاغي والنقدي في مؤلفاته ورسائله، ففي البيان والتبيين العديد من المناقشات العلمية والبلاغية والفلسفية والكلامية للمخالفين لمذهب المعتزلة،والشيء نفسه في كتاب الحيوان[82].

ولم يكن الجاحظ في التصدي للمخالفين لمذهب المعتزلة فحسب،بل عقبه أعلام كبار في الذود عن المعتقد المعتزلي في إطار البلاغة والنقد العربيين منهم عبد الجبار الهمذاني(415هـ)في شرح الأصول الخمسة[83]وكذلك في كتابه الأشهر المغني في أبواب التوحيد والعدل الذي قرّر فيه مذهب المعتزلة وناضل لأجله وبيّن فيه عدم صواب العديد من الفرق والطوائف الكلامية في زمانه وقبله. وهو كتاب ضخم بلغت مجلداته سبعة عشر مجلدا. ثم الأستاذ

82- ينظر: الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي.بيروت ط3/1969.

83- ينظر: عبد الجبار الهمذاني المعتزلي،شرح الأصول الخمسة،تقديم عبد الرحمن بوزيدة،موفم للنشر والتوزيع الجزائر1990.ج1/ص 194.

الزمخشري(538هـ)في تفسيره الكشاف[84]الذي قرّر فيه هو الأخر مسائل بلاغية من وجهة نظر اعتزالية بيّنة.

والذي قيل عن الأشاعرة والمعتزلة يقال عن أهل السنة ممن كان يشتغل بالحديث وروايته، على غرار ابن قتيبة(276هـ)من المتقدمين في العديد من مؤلفاته من مثل تأويل مشكل القرآن[85] وتأويل مختلف الحديث[86]،فقد تصدى لمسائل شتى مرتبطة بفهم آيات قرآنية وأحاديث نبوية على طريقة السلف، بالإضافة إلى رسالتيّ الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة[87]و المسائل والأجوبة[88].ومن المتأخرين نلفي ابن تيمية(728هـ)في معظم كتبه الفلسفية والكلامية في سياق الرد على المخالفين لمذهب أهل السنة والجماعة، من ذلك كتاب الإيمان الذي بيّن فيه زيف قول من قال بكون الكلام العربي ينقسم إلى حقيقة

84- ينظر: عبد الجبار الهمذاني المعتزلي،شرح الأصول الخمسة،تقديم عبد الرحمن بوزيدة،موفم للنشر والتوزيع الجزائر1990.ج1/ص 194.

85- ينظر:. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن،تحقيق سعد بن نجدت عمر.مؤسسة الرسالة.دمشق ط2014/1.

86- ينظر:. ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث،تحقيق محمد محي الدين الأصفر،المكتب الإسلامي بيروت ومؤسسة الإشراق الدوحة،ط1999/2.

87- ينظر: ابن قتيبة، الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، تحقيق عمر محمود،دار الراية الرياض، السعودية.ط1991/1.

88- ينظر:ابن قتيبة، المسائل والأجوبة، مكتبة القدسي. مصر 1349.

ومجاز[89] وكذلك في مناقشته لإشكالية التأويل - في كتابيه الكبيرين منهاج السنة النبوية[90] ودرء تعارض العقل والنقل[91]- التي توسع فيها المعتزلة والأشاعرة والجهمية والرافضة كثيرا مما جعلهم ينحرفون عن طريق السلف في فهم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. ثم تبعه تلميذه ابن القيم الجوزية الذي سار على نهج شيخه مثلا بمثل في الرد على المخالفين لمنهج أهل السنة في تأويل وتفسير العديد من الأيات القرآنية خاصة ما يتعلق منها بالصفات الإلهية. وقد بيّن بجلاء ذلك في كتابيه الصواعق المرسلة[92] واجتماع الجيوش الإسلامية[93].

هذه السجالات على الرغم من اختلاف المشارب الفكرية لمعتنقيها إلّا أنها كلها كانت عاملا قويا في تنمية الحركة العلمية والفكرية والفلسفية لدى العرب قديما، وأثمرت العديد من

89- ينظر:. ابن تيمية، الإيمان، ضبط ومراجعة صدقي جميل العطار،دار الفكر بيروت ط2006/1.

90- ينظر: ابن تيمية،منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية.تحقيق أيمن الشبراوي.دار الحديث مصر2004.

91- ينظر:ابن تيمية درء تعارض العقل مع النقل،تحقيق السيد محمد السيد و إبراهيم صادق.دار الحديث مصر.2006.

92- ينظر: ابن القيم، مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة،تحقيق الحسن بن عبد الرحمن العلوي. أضواء السلف. الرياض السعودية.ط2004/1.

93- ينظر: ابن القيم، اجتماع الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية، تصحيح بكر أبو زيد.دار ابن الجوزي.مصرط2012/1.

التصورات العلمية في مجال اللغة والبلاغة والنقد والأدب، فكان هذا الاختلاف اختلاف تنوع دفع بالحضارة العربية والإسلامية إلى مراتب عالية جدا بين الأمم ومازال معينها لم ينضب بعد لما احتوته من أفكار علمية متطورة وعميقة أيضا.

- **قضايا لغوية أخذت اهتماما خاصا:**

علاوة على ما تقدم ذكره، نلفي في جانب أخر قضايا لغوية حظيت باهتمام بالغ من العلماء العرب قديما، لغويون وفلاسفة وأصوليون ومتكلمون،ولنا أن نوجز الحديث عنها بذكرها وبيان الأهمية العلمية التي ترتبت على مناقشتها من حيث هي قضايا علمية ولغوية كانت مدار الفكر العربي الإسلامي القديم في مجال اللغة والفلسفة والأصول فضلا عن النقد الأدبي،كما أنها قضايا لغوية وفلسفية نوقشت ومازالت إلى اليوم في اللسانيات الغربية والفكر الفلسفي الغربي بمختلف تياراته وتوجهاته.

إنّ أهم هذه القضايا اللغوية التي توسع فيها العلماء العرب قديما أصل اللغة ونشأتها؛ إذ تعد من المسائل الشائكة في الفكر اللغوي العربي وغيره،لما لها من روابط مباشرة بقضايا لغوية أخرى مثل إشكالية الدال والمدلول عليه أو ما كان يعرف لدى العلماء العرب

بقضية اللفظ والمعنى.

لقد تساجل العلماء العرب القدامى في أصل اللغة واختلفوا في ذلك اختلافا كبيرا، بيد أننا يمكننا حصر هذا الاختلاف في ثلاث وجهات نظر متباينة جدا،أي: غن أصل اللغة كان بين ثلاث نظريات لغوية فلسفية أولها:القول بأنّ اللغة هي خلق لله تعالى، وثانيها القول بأنّ اللغة هي وضع واصطلاح من البشر، في حين قال آخرون بأنّ اللغة هي محاكاة لأصوات في الطبيعة. وهذه المذاهب لم يخل منها كتاب في فقه اللغة[94] أو في أصول الفقه أو الفلسفة وعلم الكلام.

ومن بين القضايا اللغوية التي اعتنى بها العلماء العرب بالبحث والمناقشة قضية اللفظ والمعنى، فقد انشغل بها اللغويون والبلاغيون والنقاد والأصوليون والفلاسفة كل بحسب طبيعة تخصصه. فمثلا علماء اللغة نظروا إليها من زاوية الترادف والمشترك والتضاد[95]، في حين نظر إليها علماء البلاغة والنقاد من جهة الصنعة الأدبية هل

94- ينظر مثلا: ابن جني،الخصائص،تحقيق عبد الحكيم بن محمد،المكتبة التوفيقية،مصر. ج51/1. وابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق أحمد بسج، دار الكتب العلمية بيروت. ط2008/2.ص 13. والسيوطي، المزهر،شركة القدس،مصر.ط2009/1. ج60/1.

95- يوجد لغويون كثر أفردوا مصنفات في مسائل المشترك اللفظي والتضاد والترادف، وهم في ذلك بين مقر بهذه الظواهر اللغوية ومنكر لها في اللغة العربية خاصة.

تكمن جمالية الإبداع الأدبي من ناحية الاهتمام باللفظ دون المعنى أم إنّ السر في جمالية العمل الأدبي يكمن في الاعتناء بالمعنى دون اللفظ[96]،أما لدى علماء الأصول والمتكلمين فإننا نلفيهم يناقشون هذه الثنائية من جهة ما يترتب عليها، خاصة في عرف الأصوليين الذين خصوها بمباحث مستقلة في كتبهم،لأنها قضية يترتب عليها حكم شرعي وهو ما جعلهم يقسمون الألفاظ إلى تقاسيم متعددة منها المتواطئ والعام والخاص والمطلق والمقيد والحقيقي والمجازي، والشرعي والعرفي والوضعي إلى غير ذلك من الأحكام اللغوي ذات البعد الأصولي.

ومن بين القضايا اللغوية التي تناقش فيها العلماء العرب وعرفت توسعا بحثيا متميزا قضية الحقيقة والمجاز، إن لم نقل هي قطب الرحى الذي دارت حوله باقي المناقشات العلمية واللغوية والفكرية، والعلة في ذلك ترجع إلى ارتباطها بقضية الإعجاز القرآني التي أخذت هي الأخرى قسطا كبيرا من البحث والتنقيب في القرآن والسنة، ولعل هاتين القضيتين هما الانطلاقة الفعلية لبروز

96- يناقش العديد من النقاد والبلاغيين قضية اللفظ والمعنى في مؤلفاتهم من زوايا شتى، وأفرز ذلك مدارس نقدية وبلاغية تجسدت في اثنتين بارزتين هما مدرسة الصنعة اللفظية ومدرسة المعاني. ولكل منهما ممثلون وأتباع.

مختلف الفرق والطوائف الإسلامية،لارتباطهما بفهم وتأويل القرآن الكريم والسنة النبوية لوجود كثير من العبارات والألفاظ التي ليس من السهل أن يسلم بها العقل ابتداء. فأعمل العقل في فهمها وأنتج ذلك اختلافا كبيرا بين العلماء الذي تجلى في فرق ومذاهب كلامية وفلسفية متصارعة صراعا فكريا وعقديا بيّنا. وكفى بهما أهمية في كونهما القضيتين اللغويتين اللتين كانتا سببا مباشرا في نشأة التفكير البلاغي العربي.

المحاضرة الثامنة :

البحث اللساني في أوروبا.

- **تمهيد:**

لم تكن الدراسات اللسانية الأوروبية في عصر النهضة وقبل القرن العشرين سائرة على الخطى نفسها التي كانت عليها والبحوث اللسانية في الحضارات المتقدمة عليها،إذ انتعشت وصارت أقرب بكثير إلى إعمال المنهج العلمي الحديث في ذلك؛ بسبب انتشار الكشوف العلمية وظهور العديد من المفاهيم والنظريات في مختلف العلوم والفنون، فكان من الطبيعي أن تتأثر الدراسات اللسانية بهذا الجو العلمي الجديد الذي عرفته أوروبا.

لقد ظلّت أعمال اللّسانيين الأوروبيين في هذه الحقبة متخذة لها المنهج العلمي التجريبي منهجا في دراسة الظواهر اللسانية، وقد أوصلهم ذلك إلى التعرف على مفاهيم وظواهر

لسانية لم تكن معلومة لديهم من قبل، فضلا عن ذلك فقد كان لارتقاء اللهجات المحلية إلى لغات رسمية في الأقطار الأوروبية ونشوء القوميات الأوروبية حافزا قويا في تطوير الدرس اللساني الأوروبي.

عموما يمكننا أن نوجز أهم المحطات العلمية والمنهجية التي عُرفت في أوروبا قبل ظهور اللّسانيات الحديثة في العناصر الآتية:

- النّظرة البيولوجية إلى اللّغة .
- التّتبع التّاريخي/التطوري للغة بغرض تعيين اللّغة الأم التّي خرجت منها اللّغات الإنسانية.
- النّحاة الجدد وقضية الاطّراد اللّغوي عموما.

تعد هذه المحطات الكبرى المنابع الأساسية في ابتكار مفاهيم ومصطلحات وتصورات ومناهج ونظريات لسانية جديدة في أوروبا،فهي بمثابة الأصول التي تفرّعت عنها مسائل وقضايا لسانية حديثة بالنسبة لتلك الحقبة. وهكذا ظهرت فروع لسانية ذات أهمية من قبيل اللسانيات التاريخية والمقارنة،

واللسانيات البيولوجية،واللسانيات الجغرافية بالإضافة إلى مناهج بحث غلبت على تلك الحقبة مثل التقابل،و الإحصاء والتصنيف....إلخ.

1/التوجه البيولوجي :

إنّ التعامل مع اللغة على أنها كائن حي، وبيولوجي يخضع لما يخضع له باقي الكائنات الحية الأخرى، كان منهجا لسانيا واضحا ومعمولا به لدى اللسانيين حينها، وهذا لم يكن ليحدث لولا التأثير القوي الذي مارسته الدراسات البيولوجية على العقل العلمي وقتها، وأيضا نظرا للنجاحات التي حققها علماء الأحياء أو البيولوجيا، فكان من الطبيعي أن تتأثر البحوث اللسانية بهذا التوجه العلمي، وعليه نظر اللسانيون إلى اللغة لا باعتبارها ظاهرة اجتماعية أو مؤسسة اجتماعية، بل تعاملوا معها على أنها كائن حي له أعضاؤه وحياته التطورية، تولد وتكبر وتشبّ وتنضج ثم تشيخ وأخيرا تندثر. يصيبها ما يصيب الكائنات الحية تماما[97]، وعليه ترسخ اعتقاد جازم لدى العلماء بأن اللغة هي أيضا جهاز

97- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علم اللّسان، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص121.

98- ينظر المرجع نفسه ص 121. وأيضا: Robins ; Brève histoire de la linguistique p. 191-192.

عضوي مثل الأحياء،لأنها تتكون من عناصر لها وظيفة،وهي تنشأ وتترعرع وتكتهل ثم تشيخ وتموت مثل الأحياء" مما حدا ببعضهم إلى المطالبة بضرورة تشريح اللغات الإنسانية كما هو الشأن مع الأجسام الحية على غرار شليجل " Schlegel ".[98]

صحيح أن هذا النمط من البحث اللساني - الذي يمكن نعته باللسانيات الإحيائية أو البيولوجية - كان يسعى إلى وضع قواعد لغوية صارمة تضمن دراسة لسانية دقيقة وموضوعية، إلّا أنه لم يستطع الإيفاء بما دعا إليه،وذلك نظرا لغرابة المنطق والمنطلق الذي ارتكز عليه أولائك العلماء وهو كون اللغة كائنا حيا.

إنّ هذه الفرضية بقدر ما عدت منطلقا لسانيا لدى علماء تلك الحقبة من تاريخ اللسانيات، فإنها من جانب آخر تعد مؤشرا واضحا على ضعف وغموض هذا النمط البحثي، لتعذر التحقق من صدق هذه الفرضية. والدليل على ذلك هو عدم قبول جمهور اللسانيين بهذه الفرضية. وكذا بروز نظريات ومناهج لسانية جديدة قامت على أنقاض النظرية أو المنهج البيولوجي في اللسانيات.

إذًا، اعتبار اللسانيات علما بيولوجيا و من ثم علما طبيعيا،

وكذلك اعتبار اللغة كائنا حيا هو أمر - عند التحقيق - يجعل اللغة تدرس بطريقة ليست لغوية صرف،بمعنى آخر:جعل اللغة موضوعا لعلم ليس لغويا، وهنا ممكن الضرر المنهجي والمعرفي الذي شهدته اللسانيات في القرن 19م، إذ صارت اللغة وسيلة لتحقيق أهداف وأغراض علمية ليست لسانية، بل هي أهداف وأعراض بيولوجية، خاصة إذا علمنا بعدد المصطلحات البيولوجية والطبيعية التي اقتحمت في الدراسات اللسانية، مما يسلب اللغة كل خاصية أو مزية تجعلها متفردة بها عن سائر الظواهر العلمية الأخرى؛لذا يعد هذا وجها من وجوه التأزم في اللّسانيات،ومظهرا من مظاهر تعقد الأوضاع العلمية على المستويين المنهجي والمعرفي في اللسانيات عامة واللسانيات البيولوجية خاصة.

المحاضرة التاسعة :

2/التوجه التطوري:

كان هذا الوضع مرحلة حاسمة لابد من التخلص منها، و فتح الباب أمام البحوث العلمية الموضوعية والجادة،فبرز على أنقاض هذه اللسانيات البيولوجية تيار لساني يدعي امتلاكه للأدوات المعرفية والمنهجية في دراسة اللغة. و هو ما بات يعرف باللسانيات التاريخية أو التطورية، فكان الهدف الذي حدد هذه المرة هو البحث عن اللغة الأم والوصول إليها قصد معرفة مصدر هذه اللغات البشرية المنتشرة في العالم.

في هذه المرحلة، ظهرت تصورات وأفكار العالم اللساني والبيولوجي أيضا شلا يشر " Schleicher "الذي كان يعتقد بفكرة إعادة إنشاء اللغة الأم،وهي بحسبه -الهندوأوروبية [99]- و ذلك عن طريق الموازنة و المقارنة و المقابلة و الإحصاء ثم التصنيف.

99- ينظر، جورج مونان، تاريخ علم اللّغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين. ص200.

لقد وجد هذا التوجه اللساني المقارن نظرية علمية داعمة له، والمتمثلة في نظرية التطور الداروينية، فقد تأثر بها شلا يشر كثيرا إذ وجد فيها ما يؤكد صحة فرضيته، وإننا نلاحظ هذا التأثر بداروين و نظريته واضحا في قوله :

" إنّ تكوّن اللّغات وتكوين التاريخ هما إذًا أدوار متباينة للنشاط البشري(...)ويبلغ نمو اللغة حدّه الأقصى عندما تظهر الآداب(...)وتلك أزمة تتجمد بعدها اللغة(...)وفي الأزمنة التاريخية تنحط جميع اللغات ذلك أمر لا ريب فيه(...)وتاريخ اللغات معناه انحلال هذه اللغات التي تخضع لحرية متزايدة، يخضع لها أيضا الفكر في تطوره المتدرج." [100] ويضيف قائلا :" ويشهد التاريخ على أن اللغة تتطور حسب قوانين تثبت ثباتا نهائيا".[101]

لقد واجهت هذه النظرية التطورية في دراسة اللغة مشكلة عويصة، وعواصتها متأتية أساسا من تعذر بناء أو إنشاء اللغة الأم

100- ينظر، جورج مونان، تاريخ علم اللّغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين. ص203. وينظر أيضا:
France Farrago, le langage, Ed Armand Colin, Paris 1999, p25

101- ينظر، جورج مونان، تاريخ علم اللّغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين. ص203.

من جديد، لذا كانت هذه النظرية تبحث عن شيء مجهول تماما، أو تجري خلف المتعذر حصوله؛لأن الدراسات اللسانية المتلاحقة كان لها شبه إجماع على استحالة إدراك الهدف الذي وضعه لسانيو هذه الحقبة من تاريخ اللسانيات في القرن 19م.

إن أهم خاصية تميزت بها اللسانيات التطورية هي خاصية البحث عن طرق كفيلة بأن تساعد في إعادة بناء اللغة الأم المفقودة، باعتبارها المفتاح الأساس في الوصول إلى معرفة أصل اللغات الإنسانية كلها، فظهر على إثر ذلك مفهوم "إعادة البناء" وهو مفهوم لساني الغرض منه إعادة بناء وتشكيل اللغة الأم،أو اللغة البدائية التي كان يتكلمها الإنسان الأول.ولعل المحفز الذي حرّك العلماء إلى وضع هذا المفهوم اللساني هو تلك التشابهات الحاصلة بين الألسن البشرية،مما فهم على أنه مؤشر ودليل على أن اللغات البشرية المنتشرة في العالم التي بلغت 6000 لغة[102] ترجع إلى أصل واحد جامع وإن بدت الاختلافات هي الأكثر بروزا

102- Voir : Anne Szulmajster-Celnikier ; La question de l'origine des langues : vaine quête du Graal ? in l'origines du langage et des langues. Sous la direction de Beatrice Fracchiolla. Ed Harmattan, paris 2013.v 2.p 155.

بين الألسن.

إنّ المنهج التقابلي والمقارن فضلا عن مناهج أخرى كانت مستخدمة في هذه الحقبة من قبيل المنهج الإحصائي والتصنيفي والجغرافي، كلها مناهج لسانية استعان بها اللسانيون من أجل بلوغ الهدف الذي رسموه لهم،وهو اللغة الأم،إن عبر المقارنة أو الموازنة أو المقابلة أو البحث التاريخي والجغرافي للألسن البشرية،بحيث تمكن العلماء من صياغة فرضيات لسانية بشكل أو بأخر في تطوير البحث اللساني خلال هذه الحقبة من تاريخ اللسانيات الغربية عموما؛إذ استطاعوا أن يؤسسوا لنظريات تقضي بأن الخلاف الموجود بين الألسن البشرية ما هو إلا اختلاف سطحي كطريقة الأداء وطريقة التركيب وغيرهما، أما من جهة العمق فإن الألسن كلها ترجع إلى أصل واحد مشترك يجمع بينها،وهذا القاسم المشترك هو ما بات يعرف "بالكليات اللسانية " وهي محل نظر اللساني المختص في حقل اللسانيات العامة.

لقد فتح المنهج التاريخي المقارن بكل فروعه المتضمنة فيه أفاقا بحثية جديرة بالاهتمام على المستوى العملي،إلّا أنه على الرغم من ذلك لم يستطع العلماء في هذه الحقبة التوصل إلى معرفة

الأصل الأول الذي خرجت منه اللغات الإنسانية الكثيرة،لذا فإن جهودهم في تحقيق ذلك لم تزد على كونها فرضيات علمية لا ترقى إلى مصاف اليقينيات المقطوع بصحتها خاصة مع إقرارهم بأن البحث عن اللغة الأم هو بحث عن شيء مجهول، وصارت هذه الفكرة من مقتضيات البحث في هذا الموضوع.

إنّ المشكل الذي كان قائما ومازال لحدّ الآن هو عدم وجود ما يؤكد على صحة تسمية اللغة الأم التي لم يبق منها إلّا الشذرات المتناثرة بين الألسن الكثيرة مثل الهندوأوروبية بالنسبة إلى اللغات الأوروبية والأسيوية[103].كما لا يوجد ما يثبت لغة هي الأصل الأول والمشترك لجميع اللغات في العالم، وإن لم تعدم محاولات علمية جادة في الاقتراب من هذا الأصل المفقود عبر إعادة بناء ما أمكن بناؤه مما هم موجود من بقايا ومخلفات دالة عليها في اللغات المنتشرة اليوم في العالم.

وبهذا يكون الهدف الذي حاول العلماء اللسانيون بلوغه والمتمثل في "اللغة الأم" لم يتحقق لعديد من العوامل والأسباب

103- Voir : Henriette Walter, l'aventure des langues en occident, p 19.

التاريخية والثقافية والعرقية والجغرافية والأسطورية والفلسفية والإيديولوجية واللسانية،وإن كانت البداية في دراسة ذلك كله بداية علمية جديرة بالاهتمام،لأنها أنتجت لنا مناهج علمية ولسانية مازالت قادرة على تقديم نتائج علمية مرضية خاصة في ظل التطورات والكشوف التي توصل إليها العلم المعاصر اليوم على مستوى اللسانيات الجغرافية وعلم الآثار وعلم الاستحاثة، والأنثروبولوجيا، وكذا المنجزات اللسانية المتطورة التي يعرفها عالمنا المعاصر،إذ صار التأريخ للغات ليس يسير على النسق نفسه الذي كان عليه أيام اللسانيات التاريخية والمقارنة خلال القرنين 18 و19 الميلاديين، والشيء نفسه ينطبق على الإحصاء والتصنيف والمقابلة، وهو عينه ينسحب على مفهوم إعادة البناء[104]الذي أخذ الآن أبعادا أخرى لها أهميتها وقيمتها العلمية والمنهجية والموضوعية.

ثم إنّ التصنيفات والإحصاءات التي قدمها اللسانيون في القرنين 18 و 19 ساعدت كثيرا في الاقتراب من اللغة الأم،لأن عملية إحصاء اللغات والألسن واللهجات وتصنيفها إلى أسر وعائلات لغوية كان خير رافد لتقدم البحوث التاريخية والمقارنة

104- Voir : A. Martinet, évolution des langues et reconstruction, P.U.F. 1 ed.1975.

في ميدان اللسانيات باعتبارها طريقا مختصرة لبلوغ اللغة الأم أو الاقتراب منها في الأقل.

ظلّت هذه النظرية سارية المفعول إلى أن تَبَيَّنَ أنها لا تقوى على تقديم برنامج علمي يُدرس به اللّغة، وذلك راجع إلى الهدف الذي حُدِّدَ في البحث عن الأصل الغائب الذي اشتقت منه سائر اللّغات؛إذ تحقق أنه هدف متعذر الوصول إليه، سواء بالمقارنة أم بغيرها ما دامت الوثائق التي بين أيدي الدارسين غير كافية في تقديم صورة واضحة لتاريخ اللغّات البعيد، فضلا عن ذلك ابتناء هذه الفكرة على أسس فلسفية وإيديولوجية تتنافى مع الروح العلمية والبحث العلمي الصارم، بالإضافة إلى ذلك التحقق من عدم جدوى نظرية النشوء والارتقاء التي ابتكرها داروين؛ إذ كانت معارضة علماء تلك الفترة لها بخاصة رجال الدّين منهم كما يقول "كُون" (***Kuhn***) موجهة نحو الأساس وهو معنى التطور بحد ذاته، علاوة على طبيعة الهدف من هذا التطور"[105].

وهكذا أدخلت النظرية التطورية اللسانيات في أزمة منهجية

---

[105]- ينظر، توماس كون، بنية الثورات العلمية، ص ص286-287. أما من الناحية الإبستيمولوجية للنظرية التطورية فينظر، جورج كانغيلام، دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها، ترجمة: محمد بن ساسي، المنظمة العربية للترجمة ومركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت لبنان، ط2007/01. الفصل المخصص لداروين من ص161 إلى ص198.

ومعرفية خانقة، وظلت على تلك الحال البحوث اللسانية إلى أن برز تيار لساني جديد مناهض للنظرية التطورية، وهو ما يعرف بالتوجه الآلي أو الميكانيكي في دراسة اللغة، الذي تبناه جماعة من الشباب الذين صاروا يسمون بعد ذلك بالنحاة الجدد(Les Néogrammairiens).

المحاضرة العاشرة :

إسهامات النحاة الجدد.

كانت التعثرات التي وقعت فيها النظرية اللسانية التطورية سببا قويا و مباشرا لظهور تيار النحاة الجدد. و يمكننا إيجاز أهم ما ركز عليه هؤلاء العلماء الشبان في المحاور الآتية :

1- لا شذوذ في القوانين الصوتية.
2- لا علمية إلا في المنهج التاريخي.
3- الآلية الصارمة.[106]

عمل النحاة الجدد بكل جهد و عزيمة على توطيد أركان توجههم اللساني الجديد وقتئذ، فكانت هذه المحاور المذكورة بمثابة المنطلقات الأساسية التي بنى عليها النحاة الجدد لسانياتهم، فهي مبادئ أولية تحدد خصائص برنامجهم العلمي الثائر على التيارات والتصورات والنظريات اللسانية التي سادت في تلك الحقبة، وفي مقدمتها اللسانيات البيولوجية والتطورية. فاتخاذ النحاة الجدد

106- Voir : Oswald Ducrot et Jean –Marie Schaeffer, Nouveau dictionnaire encyclopédique des sciences du langage, Ed du Seuil. Paris 1995, p30-31.

التوجه الآلي في دراسة اللغة كان له ما يسوغه، وهو انتشار الأفكار والتصورات الميتافيزيقية في دراسة اللغة،علاوة على ارتباط كثير من الأبحاث العلمية عموما واللسانية خصوصا بالتوجهات الإيديولوجية والميتولوجية الخالصة. كل هذه الأسباب جعلتهم يطالبون بقوة منقطعة النظير،بضرورة دراسة وبحث الأشياء كما هي،أي :وصف أشياء موجودة حقيقة لا أشياء مفترضة أوخيالية أو أسطورية.

بناء على هذا لم يعد الاهتمام اللغوي عندهم منصبا على دراسة ما وراء اللغة أو التأملات الميتافيزيقية للغة،بل صار عندهم البحث موجها صوب دراسة النشاط الإنساني لغة،أو بعبارة أخرى، ضرورة دراسة ما يصدر عن الإنسان المتكلم حقيقة، باعتبار صاحب اللغة و مستعملها فضلا عن كون اللغة من أبرز و أهم نشاطات الإنسان التي يتبادل بها مع غيره مختلف التواصلات اللغوية.

يوضح هذا التوجه مدى تغلغل الآلية والوضعية في نفوس أولائك النحاة الجدد،فاللغة في نظرهم تخضع لجملة من القوانين الحتمية و أي تغير يطرأ عليها يكون نابعا من حتمية لا مفر منها،

هنا تحديدا تتجلى الخواص الآلية الميكانيكية في هذا التوجه اللساني. بهذا ستكون مهمة اللساني - عندهم - منحصرة في اكتشاف تلك القوانين الحتمية وذلك التغير الحتمي الذي تخضع له اللغة الإنسانية.

سينجر عن هذا المبدإ الآلي الصارم مبدأ ثان وهو البعد التاريخي في دراسة اللغة، أو بعبارة مغايرة، ضرورة إدراج المنهج التاريخي في البحث اللغوي،وفي هذا دلالة واضحة على عدم استغناء النحاة الجدد عن المنهج التاريخي وإن كانوا ثاروا على الدراسات التي كانت قبلهم و هي ذات توجه تاريخي مباشر، و فيه أيضا عدم خروجهم عن النمط المنهجي و المعرفي العام الذي كان مخيما على جل البحوث و الدراسات اللسانية و إن كانوا أصحاب نزعات لسانية متفردة و متميزة بالموازاة مع ما كان معروفا حينها.

بقي المبدأ الثالث القاضي بعدم وجود أي شذوذ في القوانين الصوتية خاصة، لقد نفى أو لائك النحاة الجدد أي استثناء أو شذوذ في الظواهر الصوتية للغات البشرية و هذا يعد وجها آخر من أوجه الآلية و الميكانيكية الصارمة التي تبناها النحاة الجدد.

كان من الأوائل الداعين إلى هذا المبدإ العالم لسكين" Leskie "سنة 1876 وصار مع الوقت شعارا يعرف به النحاة الجدد ومنهجهم. يقول عبد الرحمن الحاج صالح في ذلك ما هذا نصه: "إنه لا يمكن أن توجد صيغ شاذة عن القوانين التطورية إلا لعلة معينة، وقد تخفى علينا هذه العلم لعدم اطلاعنا على جميع أحوال التطور بل على جميع أسراره وظروفه النفسانية والاجتماعية والفيزيولوجية،أما أن تفسر هذه الشواذ بالرجوع إلى مبادئ عقلية بحتة أو فلسفية ميتافيزيقية أو عوامل اعتباطية خيالية يصطنعها الإنسان لإرضاء نزعاته الخاصة به أو بقومه فهذا يعتبر تفسيرا غي علمي، فالقوانين التي يخضع لها تطور الأصوات مثلا هي قوانين مطردة لا تحتمل الشذوذ غير المعلل ".[107]

وعلى الرغم مما قدمه النحاة الجدد في سبيل دراسة اللغة الإنسانية دراسة علمية عبر المنهجية الآلية الميكانيكية والمنهج التاريخي إلّا أنهم لم يفلحوا في تقديم برنامج بحث علمي لساني كما كانوا يتصورونه و يطمحون إلى تحقيقه، بل ربما وجهت إليهم جملة من الانتقادات اللاذعة التي بينت ضعف منهجهم اللساني

[107]- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللّسان، ص126.

[108]وبالفعل فقد برهنت الدراسات اللسانية الجغرافية على أن قانون الاطراد والآلية والوضعية لا يمكن أن يصدق على كثير من الظواهر اللغوية.وبهذا يكون الأساس الأول الذي بنى عليه النحاة الجدد مذهبهم قد تمّ تقويضه.

[108]- ينظر: كلاوس هيشن، القضايا الأساسية في علم اللغة،ترجمة حسن البحيري، مؤسسة المختار.مصر.ط2003/1 ص19.

المحاضرة الحادية عشر

ملامح اللسانيات الآنية (الوصفية):

- **تمهيد:**

ينقل لنا التاريخ اللسانيات الغربية خاصة التي تندرج ضمن اللسانيات التاريخية والمقارنة، أن الطابع العام الذي سيطر على البحوث اللسانية إبان تلك الحقبة من عمر اللسانيات منهجيا ومعرفيا، كان منحصرا في التأريخ والمقارنة بين اللغات الإنسانية وتصنيف تلك اللغات إلى أسر وعائلات لغوية الغرض منها الوقوف على اللغة الأم (الأولى) التي تفرعت عنها سائر اللغات المعروفة،غير أن تحت هذا الطابع العام والظاهر كانت هناك ملامح أخرى أقل ما يقال عنها أنها تجديدية، أو تدعو إلى التجديد في المناهج اللسانية التي درست بها اللغات البشرية. وهذا في الأساس يعد مرحلة مخاض إن نظر إليها من زاوية اللسانيات الحديثة، ومرحلة انهيار للسانيات التاريخية والمقارنة إن نظر إليها من جهة الطابع العام الذي كان سائدا حينها.

بناء على هذا ستكون الملامح التجديدية في زمن اللسانيات

التاريخية و المقارنة بداية لميلاد توجه لساني جديد، و هو ما برز بالفعل في صورة اللسانيات الآنية أو الوصفية، و كذلك إيذان بموت أو أفول مرحلة اللسانيات التاريخية، بكل مناهجها المعروفة، و لهذا المنحى التجديدي من المسوغات ما خوّل له الثورة على السائد من النظريات اللسانية، ولعل أبرز هذه المسوغات،هو عدم وصول اللسانيين المقارنين و المؤرخين للغات إلى تحقيق هدفهم الذي رسموه،ونعني به"اللغة الأم"على الرغم من الاجتهادات والابتكارات التي تقدموا بها في هذا الشأن فضلا عن التصورات والفرضيات اللسانية.

وهذا الأمر يعد فشلا ذريعا بالنسبة للسانيين الداعين إلى التخلي عن المناهج المقارنة والتاريخية،وهو كذلك لأنه يعد من جانب آخر المأزق الحقيقي والفعلي الذي وصلت إليه البحوث والدراسات اللسانية التاريخية والمقارنة.وهنا بالضبط تجلت أزمة اللسانيات في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وبدا توقف التقدم العلمي اللساني واضحا جدا.

هناك مسوغ آخر وهو افتقار الدراسات اللسانية التاريخية والمقارنة إلى برنامج بحث علمي منسجم ومنسق،أو افتقارها

بالاعتبار الإبستمولوجي إلى نسق نظري منظم ومتسق وغير متناقض،ومؤسس على مقدمات معرفية ومنهجية بسيطة وواضحة، لهذا السبب لم تكن تلك البحوث على درجة كافية وعالية من الكفاية الوصفية أو التفسيرية فكانت بالضرورة النتائج تبعا للمقدمات الأولى.

إنّ هذه الأوضاع التي عرفتها اللسانيات في أواخر القرن التاسع عشر تنبئ عن مرحلة حاسمة في تاريخها، وهي ما بات يعرف بالمنعرج اللساني في ق 19م وبالفعل تغيرت الكثير من المفاهيم،والتصورات،والأفكار،والمناهج،والنظريات اللسانية جذريا وحلّت محلّها مفاهيم وتصورات وأفكار ومناهج ونظريات لسانية جديدة، غطت الكثير من النقائص التي كانت موجودة قبل، واستدركت الكثير على اللسانيات التاريخية، وربما ألغت العديد من المعتقدات اللسانية التي كانت في مرتبة البديهيات أو المسلمات.

إذا،وعي اللسانيين بالأزمة المنهجية والمعرفية في اللسانيات التاريخية كان محفزا قويا لفتح باب الاجتهاد وتقديم برامج لسانية جديدة تهدف إلى دراسة اللغة البشرية دراسة علمية موضوعية

وذلك باعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية لا باعتبارها كائنا حيا أو موضوعا مشتركا بين العديد من فروع المعرفة العلمية. لقد برزت هذه الأفكار التجديدية في أول الأمر في صورة خافتة، لكأنّ أصحابها لم يقووا على البوح بها صراحة أمام كبار اللسانيين المتشبعين بالدراسات التاريخية و المقارنة، وكان أهم أولائك العلماء المطالبين بالتجديد في المناهج اللسانية وفي نظرياتها العالم السويسري دوسوسير (De Saussure) وأنطوان مارتي(A Marty)، وواتيني (Whitney) وبودوان (Baudouin)، وغيرهم ممن لم تكتب لهم الشهرة. [109]

لقد نادى أولائك العلماء بضرورة عدم التعويل على المناهج التاريخية والمقارنة في دراسة اللغة الإنسانية، وإلى عدم النظر إلى اللغة على أنها كائن بيولوجي،وكذلك دعوا إلى ضرورة تخليص اللغة من المناهج والنظريات التي ليست لغوية خالصة،وقاموا بالمقابل بدراسة اللغة الإنسانية على أنها ظاهرة مستقلة، ومؤسسة اجتماعية، ولا بد من عزلها عن كل المؤثرات الخارجية التي

---

[109]- ينظر: إسهامات هؤلاء اللّسانيين خاصة دوسوسير وواتني في

Maurice Leroy, les grands courants de la linguistique moderne, 2eme éd : l'université de Bruxelles, Belgique, 1980, p37, 40.

كانت سببا مباشرا في تعثر البحوث والدراسات اللسانية التاريخية والمقارنة،فاللغة ينبغي لها أن تكون موضوعا لعلم واحد فقط هو اللسانيات[110]،وحيثما تحقق هذا الشرط- في نظرهم-تحقق تباعا دراسة لساني موضوعية ،وصارمة، فضلا عن تحقق مبدإ الشمولية فيها.

لذا يحسن بنا أن نوضح هذه الأفكار الثائرة باعتبارها صورة واضحة وجلية لحدوث المنعرج اللساني في أواخر القرن 19م وبداية القرن 20م.ولنبدأ بالعالم السويسري دوسوسير(F. De Saussure) باعتباره رائدا في هذه الحقبة من تاريخ علم اللغة لما قدمه من بحوث ودراسات لسانية متميزة عن الدراسات التاريخية والمقارنة للغة.

[110]- ينظر: جورج مونان، تاريخ علم اللّغة مند نشأتها حتى القرن العشرين، ص222.

المحاضرة الثانية عشر

أفكار دوسوسير:

تميز دوسوسير عن باقي العلماء الذين ذكرناهم بعرضه الواضح والبسيط لأفكاره اللسانية الجديدة في أواخر القرن 19م، بالإضافة إلى جملة الملاحظات والمحاضرات التي تركها بعد وفاته (1913).لذا نجد معظم الدارسين يركزون على دوسوسير وعلى أعماله (محاضراته) اللسانية، وبالفعل فقد كان دوسوسير من أبرز العلماء المجددين في اللسانيات وكتابه"محاضرات في اللسانيات العامة "" Cours de linguistique générale "الذي طبع سنة 1916 شاهد على نوعية الأفكار والتصورات التي كان يراها و يروج لها في الأقل في الأوساط الطلابية بجامعة جنيف.

إنّ الخطوات المنهجية والمعرفية التي انتهجها دوسوسير تعد دليلا واضحا على أنه أحدث بها منعرجا لسانيا حاسما وفاصلا بين مرحلتين هامتين في تاريخ اللسانيات، وهما اللسانيات التاريخية والمقارنة واللسانيات الحديثة[111]،وكان بذلك قد قطع الصلة - في

[111]- ينظر: ابن شماني محمد، النظرية الغلوسيماطيقية وتجلياتها في الدرس اللساني العربي مقاربة إبيستيمولوجية،منشورات جامعة الكوفة،توزيع دار الرافدين بيروت،ط2019/1 ص32-33.

نظر كثيرين من الباحثين - باللسانيات التاريخية والمقارنة، فلم يعد الحديث عن تتبع تاريخي تطوري للغات الإنسانية،بل على العكس، صار الحديث عن دراسة وصفية آنية (سكونية) للغة، تدرس في ذاتها ومن أجل ذاتها، في مرحلة زمنية معينة محددة.

استطاع دوسوسير أن يصوغ جملا من القوانين اللسانية كما هو مثبت في كتابه"المحاضرات " ولنا أن نوجز أهمها في المحاور الآتية :

1- النظرة النسقية إلى اللغة،أي: دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها. [112]
2- المنهج الوصفي كفيل بدراسة اللغة موضوعيا. [113]
3- موضوع اللسانيات الوحيد هو اللغة من حيث هي ظاهرة اجتماعية. [114]
4- مبدأ الثنائيات الضدية. [115]
5- اعتباطية الدليل اللساني. [116]

---

[112] -Voir : De Saussure. Cours de linguistique générale. Ed, Talantikite- Bejaia 2002, p280..

[113]- Voir : Ibid. p123..

[114]- Voir : Ibid. p11et p280.

.

[115] -Voir : Ibid. p 83-118.

[116] -Voir : Ibid. p 87.

تعد هذه المحاور الكبرى بمثابة الحدود الأساسية لنسق نظيري منسجم ومتسق؛إذ حصرت تحته باقي القضايا اللسانية الفرعية والتفريعية،ويكون دوسوسير بهذا العمل قد تجاوز مرحلة جمع المعطيات اللغوية التي كانت معروفة لدى اللسانيين أصحاب التوجه التاريخي والمقارن، وبالمقابل سعى إلى وضع إطار عام يجمع مجمل ومختلف الظواهر اللغوية في نسق تام مكتف بذاته[117].ويكون بذلك قد فتح باب التفكير الإبستمولوجي أمام البحوث اللسانية فيما بعد.

لقد تغيرت نظرة العلماء ابتداء من دوسوسير إلى اللغة، فلم يعد هناك شيء يسمى نشاطا كلاميا قابلا للدراسة العلمية، بل على العكس، توجهت أنظار العلماء اللسانيين إلى دراسة اللغة بذاتها بعيدا عن كل نشاط كلامي فعلي،وهذا في جانب جعل تلك الدراسات تتبنى الطرح التجريدي في دراسة اللغة باعتبارها ظاهرة مستقلة[118]،فأول ما قام به دوسوسير تجلى في هذه الخطوة

---

[117]- ينظر:. كترين فوك، بيار لي قوفيك: مبادئ في قضايا اللّسانيات المعاصرة، ترجمة، المنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1984، ص ص17-18.

[118]- ينظر: جون سارفوني ،الملفوظية، ترجمة، مقداد القاسم، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق سوريا 1998، ص04.

المنهجية (عزل اللغة عن كل نشاط اجتماعي أو فعلي أو كلامي شخصي) فصارت اللغة إذاك ظاهرة مستقلة،وطبق عليها المنهج الآني الوضعي وهو منهج يتعاهد اللغة في حقبة زمنية محددة، ولا يلتفت مطلقا إلى الظواهر والمؤثرات الخارجية التي لا ترتبط باللغة وهذا عمل خالف به جميع الدراسات اللسانية التاريخية والمقارنة.

يتحصل بهذا، أنّ دوسوسير باقتراحه للمنهج الوصفي الآني في دراسته اللغة وعزل اللغة عن المؤثرات الجانبية، قد استطاع أن يتجاوز محطتين هامتين منهجية ومعرفية، فهو بتطبيقه للمنهج الآني على اللغة يكون قد تجاوز اللسانيات التاريخية والمقارنة منهجيا، لأنه تخلى عن منهج علمي معين وعوضه بمنهج علمي آخر أكثر منه كفاية وصفية و موضوعية، و يكون في عزله اللغة - وإن افتراضيا - عن الواقع الفعلي لها قد تجاوز اللسانيات التاريخية والمقارنة معرفيا، لأنه تخلى عن القضية الجوهرية التي كانت تشغل بال اللسانيين التاريخيين وهي أصل اللغة ونشأتها،وعوضها بدراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها،وهكذا تحولت اللسانيات إلى علم تجريبي وضعي محض.

وبغض النظر عن المؤثرات التي عملت في فكر دوسوسير

اللساني-من علم الاجتماع والاقتصاد والفلسفة التجريبية والوضعية[119]-يكون بحق قد أحدث منعرجا لسانيا واضحا، لأن معه تحولت أصول الدراسات اللسانية من وضع إلى وضع آخر فضلا عن فروعها، بحيث انبثق عن مفهوم اللغة الذي قدمه دوسوسير وعن المنهج الذي طبقه عليها مفاهيم لسانية إجرائية قد أثبتت جدارتها بالموازاة مع المفاهيم اللسانية التاريخية.

فاللغة عنده متضمنة لشطرين هامين هما اللسان [120]والكلام، وقد عرف اللسان على أنه نظام من العلامات اللسانية المودوعة في أذهان الناس. وأما الكلام[121]فهو مجموع النشاط الشخصي الصادر عن الأفراد،هذا في جانب، وفي جانب آخر اكتشف أن اللسان بدوره يتضمن مجموع العلامات اللسانية وهذا العلامات هي الأخرى تتضمن شطرين بارزين هما الدال والمدلول،فالأول هو الصورة السمعية،والثاني هو الصورة الذهنية،والذي يجمع بينهما هو علاقة اعتباطية[122].

---

[119]- ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللّسان، ص146.

[120] -Voir : Saussure. p 13-16. Et 21-22. Et ch.4.p25.

[121] -Voir Saussure. Ch. 4. P 25.

[122] -Voir : Ibid. p 83-89.

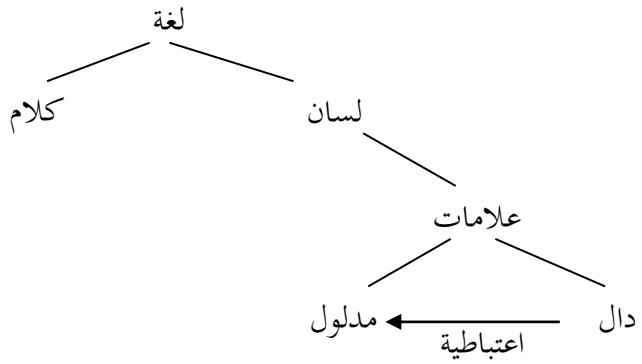

أسّس دوسوسير هذه الثنائيات اللّسانية على قاعدة جوهرية في لسانياته و هي المحوران الزمنيان التاريخي والآني[123] هكذا:

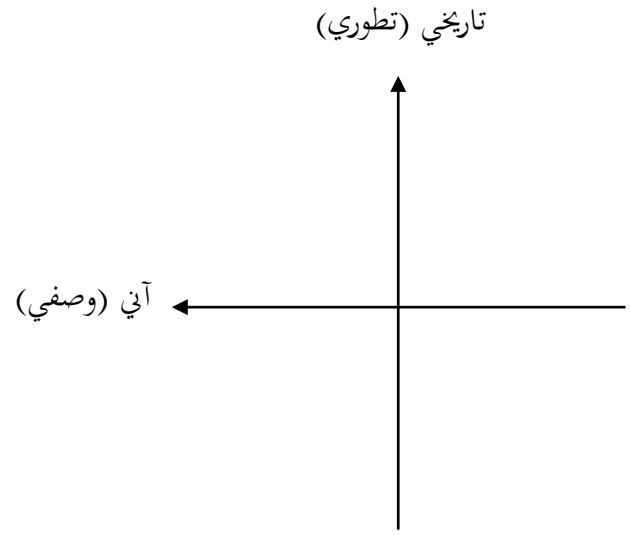

ثم راح يصنف كل ثنائية ضدية بناء على هذين المحورين

[123] -Voir : Ibid. p 121 et 169.

الزمنيين اللذين يعدان بحد ذاتهما ثنائية لسانية ضدية (تاريخي ≠ آني) فضلا عن هذه الثنائيات توجد لديه ثنائيات أخرى لا تقل أهمية عن هذه. و نقصد بها :

- المحور الترابطي ≠ المحور الاستبدالي[124]
- ثبوت العلامة تغير ≠ العلامة[125]

خلاصة القول:هي أن دوسوسير-كما وصفته بذلك آن إينو[126]- هو كوبرنيكوس اللسانيات،إذ المعلوم أن الثورة العلمية الجذرية التي أصابت علم الفلك كانت مع العالم كوبرنيكوس إلى جانب غاليليو في علم الفيزياء الكلاسيكية؛أو هو بمثابة أمبير أو نيوتن أو أينشتاين اللسانيات على حد تعبيرها.

---

[124] -Voir :Saussure. p 148-151.

[125] -Voir : Ibid. ch. 2 p 91.

[126]- ينظر، آن اينو، تاريخ السيميائية، خاصة الفصل الثالث:"التفرد اللساني" ص43.

المحاضرة الثالثة عشر

المدرسة البنوية:

- **تمهيد:**

انتشرت أفكار دوسوسير في القارة الأوروبية وعرفت إقبالا واسعا من لدن الباحثين والعلماء في اللسانيات وفي الدراسات الأدبية والنقدية أيضا، فضلا عن البحوث الأنثروبولوجية والثقافية،وذلك لطبيعة المنهج الذي سار عليه دوسوسير في دراسة اللغة الإنسانية، بحيث عرفت معه اللسانيات نقلة نوعية تجلت في التحول عن المنهج التاريخي إلى المنهج الآني، والتعامل مع اللغة باعتبارها ظاهرة مستقلة تدرس في ذاتها ومن أجل ذاتها، بعيدا عن كل المؤثرات الخارجية الحافة بها، هذا كله مكّن العلماء من إعادة انظر في مناهج البحث اللساني وغيره، وانصب الاهتمام كله في دراسة البنية اللغوية من حيث إن اللغة صارت شكلا وليست مادة.

ولعل من أبرز من تأثر بأفكار دوسوسير جماعة من الباحثين الروس الذين هاجروا من روسيا إلى التشيك أين أقاموا لهم

حلقة بحث لساني بنوي متتبعين في ذلك أثر سوسير في دراسة اللغة الإنسانية عموما والتواصل اللساني خصوصا،وقد تم الإعلان عن هذا التوجه اللساني الجديد في المؤتمر الدولي الأول للسانيات الذي انعقد في مدينة لاهاي بهولندا سنة 1928، ومنذ ذلك الحين عرفت القارة الأوروبية تيارا لسانيا بنويا مكمّلا لأفكار سوسير ومطوّرا لها، وهو ما بات يسمى" حلقة براغ اللسانية" أو "المدرسة الوظيفية".

1/المدرسة الوظيفية:

تعد المدرسة الوظيفية من أشهر المدارس البنوية في أوروبا، فهي بنوية لأنها تبنت أفكار دوسوسير اللسانية،وعمل أصحابها على تطويرها،فكانت إسهامات علمائها جليلة جدا في اللسانيات والصوتيات والتواصل ودراسة مختلف الظواهر اللغوية ذات البعد النفسي مثل أمراض الكلام،وكذلك الاهتمام بميدان النقد الأدبي الذي تجلى عندهم في دراسة الشعرية والأسلوبية.

أما من حيث المنهج الذي سار عليه رواد المدرسة الوظيفية فإنه لم يخرج عن المنهج البنوي الوصفي الذي كان شائعا حينها في أوروبا خاصة،لما حقّقه من نجاحات علمية في دراسة اللغة

الإنسانية بمختلف مستوياتها،وبذلك استطاع علماء هذه المدرسة أن يضيفوا على لسانيات سوسير العديد من المفاهيم والمصطلحات التي تميّزوا بها عن باقي المدارس اللسانية التي تلت من بعد،ولعل من أهم وأشهر ما تميزت به المدرسة الوظيفية هو مفهوم "**الوظيفة** " بحدّ ذاته الذي يعد مفهوما أساسيا وعمليا في دراسة اللغة الإنسانية،إذ به استطاعوا أن يجدّدوا في اللسانيات وفي التواصل والصوتيات أيضا، على غرار " **ترويبسكوي**" الذي اهتم بالجانب الصوتي فقام بدراسة الوظائف التي تؤديها الأصوات اللغوية،مما أتاح له أن يضع فرعا علميا سمّاه الفونولوجيا أي:دراسة وظائف الأصوات وهو ما جسّده في كتابه" مبادئ الفونولوجيا "[127].

ولكن قبل ذلك لابد لنا من التطرق إلى تحديد مفهومين أساسين في هذه المدرسة وهما "**الوظيفي**" و"**الوظيفة**" على النحو الآتي:

- **الوظيفي :**

" يطلق على بعض العلاقات النحوية التي تربط مكونات الجملة أو

---

[127] -Voir : N.S.Troubetzkoy, Principes de phonologie, tr par : J.Cantineau, librairie C.Klincksieck. Paris 1949.

عناصرها،أو بين الجملة وما يلحقها من الجمل والتراكيب"[128].

- **الوظيفة:**

" يطلق على الدور التعبيري الذي يقوم به العنصر اللغوي في بنية النحوية سواء أكان فونيما أم مورفيما أم كلمة أم جملة، فهو كل عنصر لغوي يسهم في صنع المعنى وبناء الدلالة"[129].

- **تروبيسكوي:**

في هذا الكتاب العمدة بيّن تروبيسكوي المقصود من الفونولوجيا والصوتيات العامة،كما تطرق فيه إلى العديد من القضايا الأساسية المتمثلة خاصة في المفاهيم الكبرى التي جاءت بها لسانيات سوسير من قبيل التفريق بين اللغة والكلام واللسان والدال والمدلول عليه[130]،كما ركز على بيان أهم المفاهيم التي تعنى بها الفونولوجيا وهي التقابلات الفونولوجية المميزة[131]،والتقابلات الفونولوجية غير المميزة[132]. ثم تطرق إلى دراسة الفونيم[133].

---

[128]- ينظر،أحمد عزوز، المدارس اللسانية.دار أل الرضوان،وهران الجزائر.ط2008/2،ص 130.

[129]- ينظر، المرجع نفسه ص 130.

[130] -Voir : N.S.Troubetzkoy, Principes de phonologie., p 31.

[131] -Voir : Ibid., p 33.

[132] -Voir :Ibid. p 34.

[133] -Voir : Ibid. p 41.

ولمّا كان كتاب تروبيسكوي مبادئ الفونولوجيا كبير الجرم إذ بلغت صفحاته 446 صفحة آثرنا أن نكتفي بعرض سريع لأهم محتوياته خاصة الفصول التي تعالج قضايا فونولوجية بحتة،إذ يمكن أن نقول فيها بأنّ تروبيسكوي هو أول من ناقشها ودرسها بهذه الطريقة،وعليه فقد تطرق في كتابه المذكور إلى الفرق بين الفونيمات والمتغيرات[134]ضمن الفصل الذي خصصه للقواعد التي تحدد الفونيمات.

كما تطرق إلى دراسة الفونيمات من زاويتين مختلفتين أطلق عليهما مصطلح الفونيمات البسيطة و مجموعة الفونيمات[135]،بالإضافة إلى بحثه لقضية الترتيب المنطقي للتقابلات المميزة في الفصل الثالث،وفيه درس موضوع محتوى الفونيمات ونظام الفونيمات[136] ناهيك عن دراسته لمراتب التقابلات الفونولوجية عموما[137]. وبحث أيضا الأنماط المحايدة للتقابلات الفونولوجية المميزة وخصص لها فصلا موسعا[138]. والحق أن هذا الكتاب يعد بمثابة

---

[134] -Voir : N.S.Troubetzkoy, Principes de phonologie p 47.

[135] -Voir : Ibid. p 57.

[136] -Voir : Ibid. p 68.

[137] -Voir : Ibid. p 69.

[138] -Voir : Ibid. p 246.

المرجع الأول والأساسي في الفونولوجيا الحديثة خاصة فيما يتعلق بمعرفة السمات الصوتية بين مختلف الأصوات اللغوية في أي لسان بشري، فتروبيسكوي حاول أن يصوغ قوانين صوتية وأخرى فونولوجية عالمية باعتبارها خواص مشتركة بين الألسن البشرية قاطبة؛ومن ثم وضع نظرية فونولوجية كونية مبنية على هذه السمات الفارقة التي حدّدها بوضوح[139]؛إذ يمكن لأيّ لسان بشري أن يرجع إليها في معرفة الخصائص الصوتية والفونولوجية لهذا اللسان أو ذاك.

- **رومان ياكبسون:**

الشخصية الأكثر بروزا وشهرة وتأثيرا في الفكر اللساني الغربي الحديث والمعاصر عموما وفي الفكر اللساني البنوي خصوصا، لقد اشتهر ببحوثه اللسانية الموسعة التي راعى فيها جوانب لم تحظ بالدراسة في اللسانيات السوسيرية خاصة مثل دراسة أمراض الكلام والحبسة واللغة لدى الطفل بالإضافة إلى اهتمامات أدبية وأخرى نقدية ذات صلة وثيقة بالبحث اللساني البنوي.

بيد أنه عرف أكثر بنظريته في التواصل اللساني ذات البعد

---

[139] -Voir : N.S.Troubetzkoy, Principes de phonologie . p 93-94.

الوظيفي، فقد قام بتطوير نظرية التواصل الكلاسيكية التي كانت تعتمد في ذلك على العناصر الثلاثة الأساسية وهي المتكلم والمستمع والرسالة إلى دارة تواصلية ذات العناصر الستة ولكل عنصر من عناصرها وظيفة محددة،لقد بيّن ذلك في كتابه الشهير محاولات في اللسانيات العامة [140].

يبدأ رومان ياكبسون مما انتهى إليه دوسوسير خاصة، ومما قرره أيضا كارل بوهلر في أنموذجه التواصلي،مما يعني أن الإواليات الفلسفية والمنهجية ستكون قاسما مشتركا بينهم، بيد أن هذا الاشتراك لم يمنع رومان ياكبسون من أن يتعداهما ويستدرك عليهما، كما هو جلّي من الموازنة بين تصور كل واحد منهم في حقل التواصل اللساني، وهكذا صار من البدهي في أدبيات الفكر اللساني المعاصر أنّ الدارة التواصلية التي قدّمها رومان ياكبسون فاقت إلى حدّ بعيد ما قرّره دوسوسير و بوهلر.

يتحدد هذا التجاوز والاستدراك في عدد عناصر العملية التواصلية، أو العوامل الأساسية المشكِّلة للدارة التواصلية اللسانية،

---

[140] -Voir : R. Jakobson, Essais de linguistique générale, Traduit et préfacé par : N. Ruwet, Ed, de Minuit, Paris, 1963.

ناهيك عن العناصر أو العوامل، نلفي مظهرا آخر من مظاهر التجاوز في النظرية التواصلية الوظيفية، نعني به، إسناد الوظائف لكل عنصر في الدارة التواصلية، وهكذا تحوّلت الدارة التواصلية من ثلاثية العوامل إلى دارة لها ستة عوامل، مسندة إليها وظائف معينة. لقد بيّن رومان ياكبسون في الفصل الذي عنونه باللسانيات والشعرية من الجزء الأول من كتابه محاولات لسانية عامة[141]تصوره اللساني للتواصل، وفيه يقرر عدد العوامل أو العناصر المشكلة للدارة التواصلية، ووظيفة كل عامل فيها، فتصير الدارة التواصلية مكوّنة من ستة عوامل أساسية هي : المرسل والمرسل إليه والرسالة، والقناة، والسياق، والشفرة، وهذه صورتها عنده[142]:

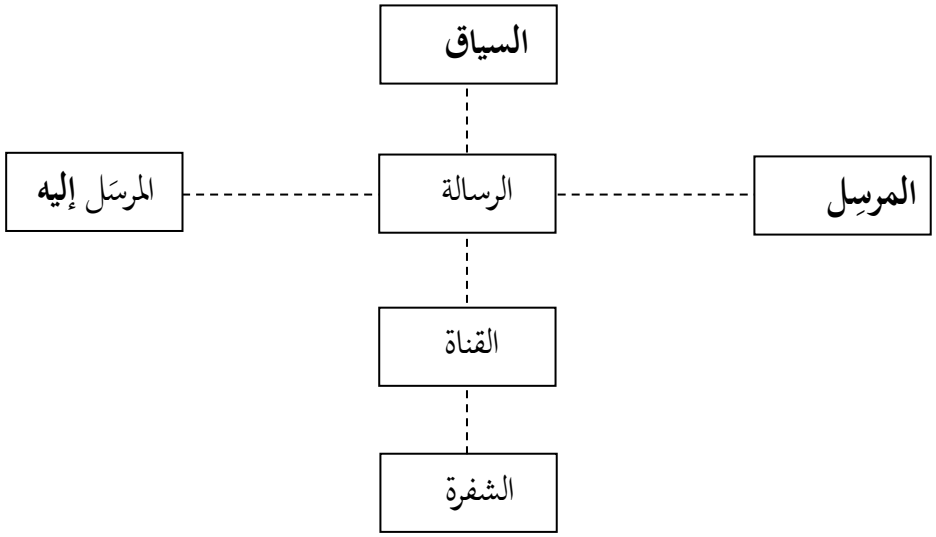

[141] -Voir : R. Jakobson, Essais de linguistique générale, v1.p 209.

[142] -Voir : Ibid. p 214.

وهذا مبني على اعتبار مفاده أن هذه العوامل هي عوامل مختلفة وغير قابلة للتصرف فيها[143] في سياق التواصل اللساني. تعد هذه التوسعة للدارة التواصلية إضافة مهمة وجادة في سبيل تطوير علم التواصل اللساني خاصة؛ إذ لم يكن إدراج عناصر تواصلية جديدة على العناصر الثلاثة الأولى معروفا إلّا مع ياكبسون، بيد أنّ هذه التوسعة التي هي في الأساس استدراك على نظرية التواصل كما قررها كل من دوسوسير و بوهلر، لم تكن مخرجة لرومان ياكبسون عن مجال الفكر البنوي، وعن التصور النسقي المغلق؛ لأنّ الأمر الذي يستوقفنا هنا هو كون الدارة التواصلية الوظيفية وإن بدَت منفتحة بعض الشيء عن دارة سوسير أو دارة بوهلر إلّا أنها تظل قائمة على المفاهيم والتصورات البنوية التي لا تقوم إلّا على مفهوم الانغلاق النسقي، وهذا هو الجامع بين البنويين جميعا.

من هذه الزاوية تكون عوامل التواصل التي زادها ياكبسون على من سبقه، مكملة لنسق التواصل البنوي، ومطوّرة له؛ بحيث بقي هذا النسق الوظيفي محتفظا بالعناصر الأولى الأصول في أي عملية تواصلية، نعني : المرسل والمرسل إليه والرسالة باعتبارها قاعدة ثابتة في

[143] -Voir : R. Jakobson, Essais de linguistique générale, v1.p 214.

كل عملية تواصلية مهما كان منطلقها.

ثم إنّ رومان ياكبسون، يزيد توضيحا لتصوره التواصلي الوظيفي لما يسند إلى كل عنصر في الدارة التواصلية وظيفة محددة، وهذا مشعر بأنّ نجاح التواصل اللساني بين المتكلم والمستمع رهن بإدراج الوظيفة التي لابد أن يؤديها كل عنصر فيها، وهنا محلّ التجاوز لدوسوسير ولبوهلر. فيكون قد أضاف إلى أنموذج بوهلر ذي الوظائف الثلاث وظائف ثلاثا فصارت الدارة بست وظائف، يقول ياكبسون في ذلك ما يلي : " إنّ الأنموذج التقليدي الذي قدمه بوهلر خصوصا، ينحصر في ثلاث وظائف هي : الانفعالية والنّدائية والمرجعية (...) انطلاقا من هذا الأنموذج الثلاثي يمكننا الاستخلاص بسهولة وظائف لسانية إضافية "[144] ثم قال بعد هذا : " إنّنا قد تعرفنا على وجود ثلاثة عوامل أخرى، مؤسسة للتواصل اللفظي، فلهذه العوامل الثلاثة، ثلاث وظائف لسانية تطابقها"[145]وهكذا يكون المخطط التواصلي الذي قدّمه ياكبسون مستندا إلى دعامتين أساسيتين هما : الفكر السوسيري الذي اتخذه في إضافة العوامل التواصلية الجديدة، والفكر البوهلري

[144] -Voir : R. Jakobson, Essais de linguistique générale, v1.p 216.

[145] -Voir :ibid. p 217.

الذي اتخذه في إضافة الوظائف التواصلية الجديدة. وبهذا يكتمل أنموذج رومان ياكبسون التواصلي الوظيفي وهذه صورته:

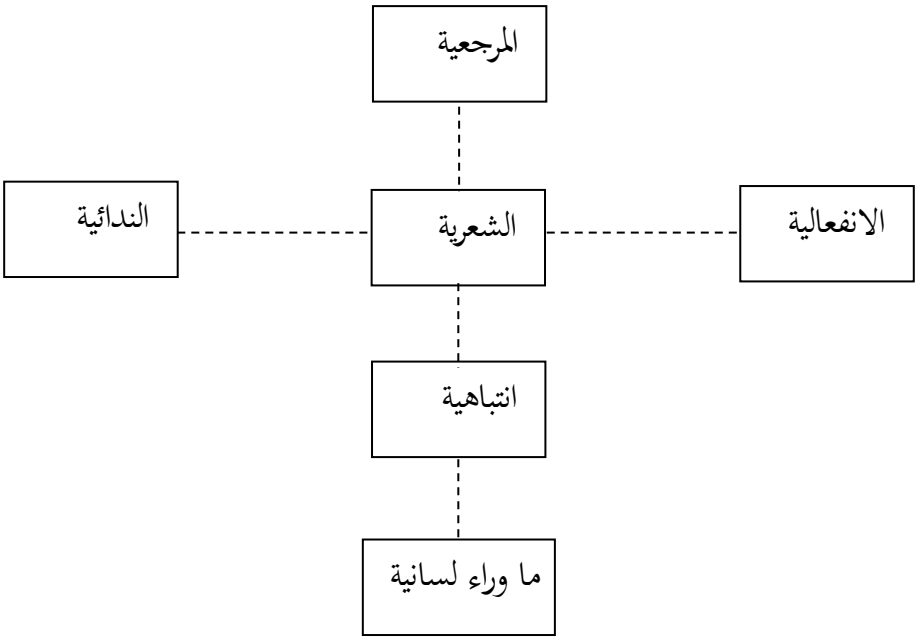

هذه هي الأصول الكبرى للنظرية التواصلية الوظيفية كما حدّدها رومان ياكبسون.

المحاضرة الرابعة عشر

المدرسة التوزيعية/السلوكية:

- **تمهيد:**

عرفت القارة الأمريكية وخاصة الشمالية منها العديد من الدراسات اللسانية التي غلب عليها البعد التجريبي،وظلت الولايات المتحدة الأمريكية تحديدا مسرحا لمثل هذه الدراسات والبحوث الميدانية التي طالت اللغة الإنسانية، إذ برزت جملة من التصورات اللسانية سعت إلى تقديم نتائج علمية وموضوعية في خصوص اللغة ،ومن بين هذه الأعمال العلمية في حقل اللسانيات ما كان له صلة مباشرة بدراسة مختلف القبائل البدائية في أمريكا من الناحية اللغوية والإثنية أيضا.وبرز على الساحة اللسانية في الولايات الأمريكية اللساني والأنثروبولوجي فرانز بواز[146] (له كتاب عنوانه اللغة) الذي كانت له جهود جبارة في الكشف عن عديد القضايا والمباحث اللسانية الخاصة بالشعوب البدائية في أمريكا.

لقد تجلى أثر فرانز بواز في العلماء الذين جاءوا عقبه،من

[146] -Voir :R.H.Robins, Brève histoire de la linguistique, p 216-217.

أمثال إدوارد سابير[147](له كتاب اللغة وكتاب اللسانيات)الذي كان هو الأخر من أشهر اللسانيين الأمريكيين الذين تبنوا البعد الأنثروبولوجي في دراسة اللغة الإنسانية،واستطاع أن يجعل لنفسه منهجا لسانيا متميزا عن المناهج اللسانية التي كانت معروفة في أوروبا.

ولم يكن لهذا المنهج الذيوع المطلوب إلّا بعدما التفّ حول سابير عدد من الباحثين الذين صارت معهم اللسانيات الأمريكية في تميز بيّن عن اللسانيات الأوروبية، وهكذا برزت اللسانيات التوزيعية أو ما يعرف بالسلوكية على يد كل من بلومفيلد وهوكيت و ويلس وبرنارد بلوك وزليغ هاريس ...إلخ.

يمثل هؤلاء العلماء اتجاه المدرسة التوزيعية أو السلوكية الأمريكية،المهتمة بدراسة اللغة الإنسانية،ولا يعني هذا أنهم يشتركون في كل القضايا والتصورات النظرية والتطبيقية،وإنما توجد بينهم العديد من الاختلافات على الصعيدين النظري والتطبيقي إلّا أنهم يجتمعون جميعا في كونهم لسانيين ينتمون إلى المنهج البنوي الوصفي. وبما هُم كذلك فإنّ هذا لا يدل على أنهم

147 -Voir :R.H.Robins, Brève histoire de la linguistique. p 217.

مسلّمون بالبنوية الوصفية الأوروبية في صورتها السوسيرية أو الوظيفية أو الغلوسيماتيكية،بل لهم طرائق في التحليل اللساني لمختلف الظواهر تأخذ شكلا مغايرا بعض الشيء عما عُهدَ في القارة الأوروبية.

وبالجملة، تعد الطريقة التوزيعية في دراسة اللغة الإنسانية طريقة معتمدة على محورين بارزين هما:

1/ علم النفس السلوكي.

2/ الوصف والتصنيف البنوي.[148]

وكما هو معلوم،لقد تأثرت اللسانيات الأمريكية بعلم النفس السلوكي وخاصة بنظرية بافلوف السلوكية التي أسست على مبدإ الانعكاس الشرطي أو قانون المثير والاستجابة،لقد أخذت المدرسة التوزيعية الأمريكية بهذا المبدإ وراحت تدرس اللغة الإنسانية على أنها سلوك فقط،لا يتم إلّا في ظل شَرطيّ المثير والاستجابة. وقد بيّن ذلك بلومفيلد في كتابه العمدة" اللغة"الصادر سنة 1933[149]وحاول أن يبرهن على أن اللغة الإنسانية هي مجرد

---

[148]- ينظر: بيريزين .ف.م، تاريخ الدراسات اللسانية، ترجمة فتيحة قنيش، دار القدس العربي.وهران الجزائر 2013.ص 316-317.

[149] -Voir : L .Bloomfield, Le langage, tr par Janick Gazio, Payot paris 1970. P 26.

سلوك يصدره المتكلم والمستمع أثناء عملية التواصل،وضرب لذلك مثالا هو حوار دار بين كل من جيل وجاك،إذ أحست جيل بالجوع لما رأت التفاحة وكانت قد أصدرت صوتا دالا على ذلك، فقام جاك فورا بقطف التفاحة وهكذا أكلت جيل التفاحة[150].يعبّر التوزيعيون عموما،و بلومفيلد خصوصا على هذا الفعل بقانون المثير والاستجابة،وهو قانون مقتبس في الأصل من علم النفس السلوكي المبني على دراسة السلوك البشري من وجهة نظر المثير والاستجابة أو ما يعرف أيضا بالمنعكس الشرطي.

وعليه يتصور التوزيعيون عامة التواصل اللغوي بين البشر على أنه مجرد سلوك خاضع للفعل ورد الفعل أو لا يخرج عن ثنائية المثير والاستجابة.

مثير ..... استجابة[151]

وهذا ما جعل بعض العلماء الناقدين للنظرية السلوكية في اللسانيات يصفون ما أسس له بلومفيلد بأنه يصور التواصل اللساني البشري بصورة ميكانيكية أو آلية متطرفة ؛لأنه يحتم توافر

---

[150] -Voir : ibid. p 26-29.

[151] -Voir: L .Bloomfield, Le langage, P 28-29.

المثيرات التي بها يقع الفعل الكلامي،وهذا لا ينسجم مع حقيقة اللغة الإنسانية التي تخضع لمجموع الظروف والسياقات المتنوعة والمؤثرة فيها وفي نفسيات متكليميها.

وعلى الرغم من ذلك،لم يبق التوزيعيون منحصرين فيما وضعه بلومفيلد، بل كانت للذين جاءوا من بعده أراء وتصورات لسانية أكثر واقعية في تحليل اللغة الإنسانية على غرار ما قام به كل من ويلز وهوكيت وهاريس وسكينر باعتبارهم هم الذين طوّرا النظرية التوزيعية في الولايات المتحدة.

المحاضرة الخامسة عشر:

تتمة للتوزيعية /السلوكية:

يمكن إجمال المبادئ اللسانية الكبرى التي تبنتها المدرسة التوزيعية في مرحلتها المتأخرة في تركيزها على دراسة الجملة نحويا، باعتبارها بناء تراتبيا،أو بعبارة ثانية،تعد الجملة مقاربة بنوية توزيعية،لأجل هذا يعتمد التوزيعيون على تقسيم الجملة إلى مكوناتها الأساسية ثم تحديد مقولاتها ووظائفها النحوية،وكذلك تصنيفها في فئات محددة صوريا،من دون الإحالة على أي معنىً على طريقة التحليل المنطقي للجملة كما كان معروفا في التقاليد الغربية خاصة. إنّ هذه الطريقة في التحليل اللساني هي ما يعرف في اللسانيات الأمريكية بالتحليل إلى المكونات المباشرة،علما أن الأصل في هذا التحليل اللساني هو تصور بلومفيلد اللساني.

يقسم هذا التحليل اللساني البنوي الجملة إلى مكونات مباشرة، فالجملة عندهم هي متتالية متناسقة ومتآلفة مكونة من وحدات صغرى (عناصر لسانية) مترابطة فيما بينها، وعليه ففي داخل متتالية أو جملة معينة من الوحدات الصغرى أو المورفيمات

تتشكل المتتالية الكبرى التي هي في الأصل مجموع الوحدات الصغرى[152].بمعنى آخر يكون هذا التشكل من ضرورة توفر الوحدات الصغرى التي هي المورفيمات بحيث تصير مجتمعة في شكل بناء تراتبي من أصغر وحدة إلى أكبر وحدة التي هي الجملة أو المتتالية؛وعليه لا يكون هذا الترتيب اعتباطيا، بل هو خاضع لعدد من القيود والضوابط العامة التي تخص كل لغة على حدة.وهكذا يعد الكون المباشر مجموع الوحدات اللسانية التي تعمل بوصفها جزءا من مجموعة كبرى[153].

إنّ الأساس في التحليل إلى المكونات المباشرة هو تحديد نقاط الفصل أي: المواقع التي يمكن أن يعيّن فيها المكونات المباشرة التي تؤلف الجملة في إطار سلّمي تراتبي من أصغر وحدة إلى أكبر وحدة.

يتم أولا تمييز المكونات المباشرة . وثانيا تقسيمها إلى مكونات مباشرة أخرى من الدرجة الثانية،وهكذا يستمر التقسيم إلى

---

[152]- ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، عالم الكتب الحديث الأردن. ط1/2010.ص 56 -57.(سنعتمد بشكل مباشر على كتاب مصطفى غلفان في هذا المبحث لبساطة طرحه ووضوح أمثلته)

[153]- ينظر: المرجع نفسه ص 57.

مكونات مباشرة أصغر[154] .

لابد من بيان طبيعة كل مكون وسماته، وخصائصه الشكلية المقولية وهي الاسم والفعل والحرف والأداة والمحدد والسابقة واللاحقة، كما يتم التركيز على بيان وظيفة كل مكون بحيث يتميز بها عن سائر المكونات الأخرى الموجودة معه. مثال ذلك[155]:

- الشباب ذكورا وإناثا مستقبل هذه البلاد.

تتضمن الجملة مكونين مباشرين هما:

- الشباب ذكورا وإناثا.
- مستقبل هذه البلاد.

وعليه،لا يمكن أن يكون المركب الوصفي (ذكورا و إناثا) مكونا مباشرا لهذه الجملة أو المتتالية؛ لأنه مرتبط بالمكون المباشر (الشباب ذكورا وإناثا)أي: الوصفان ذكورا وإناثا متعلقان بالمكون (الشباب)والأمر نفسه ينطبق على المركب الإضافي(هذه البلاد)،إذ هو جزء من المكون الأكبر (مستقبل هذه البلاد).

يعد هذا التحليل التوزيعي في نظر بعض العلماء صورة أخرى

---

[154]- ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص57.

[155]- المثال وطريقة تحليله منقولان عن مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص57- 58

من صور التحليل المنطقي التقليدي للعبارات والقضايا المنطقية التي تقسم إلى موضوع ومحمول. مما يعني أن التوزيعيين لم يأتوا بأي جديد يذكر في نظر هؤلاء النقاد.

ولكن على الرغم من هذا التشابه بين التحليل التوزيعي والتحليل المنطقي الكلاسيكي إلا أن الفرق كامن بينهما، ويمكن بيانه على النحو الأتي:

أولا:يعتمد التحليل التوزيعي على مفاهيم وأدوات دلالية مرتبطة بوظيفة كل وحدة داخل الجملة أو المتتالية وليس ببنية الجملة ككل.

ثانيا: يعيد التحليل التوزيعي صياغة هذه الأمور صياغة صورية محضة لا علاقة لها بمعنى المقولات النحوية (مثل الاسم والفعل والحرف والأداة والصفة والمحددات والسابقة) المحددة للوحدات المشكلة للجملة.على العموم يمر الوصف البنوي لدى التوزيعي بمراحل [156]هي :

- جمع المتن.
- فرز المتن.

---

[156]- الخطوات المذكورة منقولة عن مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص59-60.

- تحليل المتن.
- الوقوف على الاطرادات التوزيعية في مستوى الحروف والكلمات و الجمل.
- وضع ذلك في فئات هي: الاسم والفعل والحرف.
- تختم بوضع تمثيلات صورية.
- تجسيد مختلف التقسيمات .
- توضيح العلاقات الموجودة بين مكونات الجملة.
- تقديم صورة إجمالية للشبكة العلائقية المتحكمة في بنية الجملة.

اشتهرت المدرسة التوزيعية بتمثيلات بيانية في تحليلها للجمل النحوية إلى مكونات مباشرة، لعل أكثرها ذيوعا ما يسمى **أقواس ويلز** وكذا **علبة هوكيت ومعادلات هاريس.**ولأهمية هذه التمثيلات الصورية اتخذها تشومسكي منطلقا له في برنامجة العلمي أول الأمر.

- **مثال عن أقواس ويلز**[157] :

تحلل المتتالية الآتية على هذا الشكل :

[157]- المثال والمخطط منقولان عن مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص60.

- (يأكل الولد التفاحة) ..... هذا مكون أعلى.
- ((يأكل) (الولد التفاحة)) ..... مكون 2.
- (((ي) (أكل) (الولد التفاحة)))..... مكون 3.
- (((ي) (أكل) (الولد) التفاحة))..... مكون 4.
- (((ي) (أكل))) ((الولد)) (التفاحة))))..... مكون5.
- (((ي) (أكل))) (((أل (ولد))) (التفاحة)))).... ... مكون 6.
- (((ي) (أكل))) (((أل (ولد))) ((أل ((تفاحة))))))..... مكون 7.

- **مثال على معادلات هاريس**[158]:

تحلل المتتالية عنده على النحو الآتي :

- ج ..... ف+مركب اسمي+مركب اسمي.
- ف ..... أكل.
- م س ..... معرف + اسم

[158]- المثال منقول عن مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص 61-62.

- معرف ..... أل

- اسم ..... ولد / تفاحة.

يشير الحرف"ج" إلى الجملة. ويشير الحرف "ف" إلى الفعل. يشير الحرفان" م س" إلى المركب الاسمي أي الاسم وهذه الطريقة تسمى قواعد إعادة الكتابة التي ينطلق منها تشومسكي مع إدخال التعديلات الجذرية عليها.

ما يلاحظ على التمثيلات الصورية التوزيعية هو أنها سطحية جدًا،لأنها انطلقت من مفهوم الوصف والتوزيع وكذا التصنيف. وهو ما جعلها عرضة للنقد اللاذع الذي وجهه إليها تشومسكي فيما بعد.

المحاضرة السادسة عشر:

اللسانيات التوليدية والتحويلية.

- **تمهيد:**

تقوم النظرية اللسانية التوليدية والتحويلية على جملة من المقدمات والأوليات الأساسية فلسفيا وعلميا وإبيستيمولوجيا؛ إذ تعد هذه المنطلقات الموجه الأساسي والمباشر الذي يقود النظرية التوليدية والتحويلية من أول نقطة الانطلاق إلى آخر مرحلة وصلت إليها هذه النظرية، لذا يكون من المناسب التعريج على ذكر هذه المنطلقات الأساسية بإيجاز وهي كالآتي:

- الفلسفة العقلانية ممثلة في فلسفة روني ديكارت.
- النحو الكلي والمنطقي ممثلا في نحو بور- ريال .
- أراء فون هومبلدت ممثلة في الفلسفة الألمانية .

بناء على هذا، ستكون هذه هي المنطلقات الكبرى التي بنيت عليها لسانيات تشومسكي.

• الفلسفة العقلانية : ديكارت: (1596- 1650).

تأثر تشومسكي بالعقلانية الديكارتية في مفهوم خاص هو" فطرية اللغة"[159]أي : وجود بنيات لغوية تصورية مجردة وجاهزة عند للاستعمال عند الإنسان، فاللغة عند ديكارت وتشومسكي صفة ذاتية ملازمة للنوع البشري،وقد لاحظ ديكارت أن القدرة على اللغة لا ترجع إلى وجود الجهاز الناطق عند الإنسان،بل لارتباطها بالعقل بوصفه آلة عامة يمكن استخدامها في كل أنواع الطوارئ بحيث يمكن للإنسان به أن يتصرف في كل السياقات التي لا تقدر الكائنات أخرى عليها[160].

يبدو واضحا أن التوجه هنا هو توجه تجريدي، وهو ما أخذ به تشومسكي في صياغة نظريته التوليدية والتحويلية وجعل من مفهوم"فطرية اللغة "فرضية عمل ومقدمة انطلاق في قوله بفطرية القواعد النحوية لدى الإنسان.وعليه فإن قال ديكارت بأنّ اللغة

---

[159] -Voir: Chomsky, Aspects de la théorie syntaxique, tr Jean Claude Milner, Ed du Seuil paris.1971.p 44.45.49.52.53.58.

[160] -Voir: Chomsky, le langage et la pensée, tr Louis-jean Calvet et Claude Bourgeois, Ed Payot. paris 2012.p 38-41.

فطرية وهي مرتبطة بالعقل، فإن تشومسكي قال بقواعد نحوية فطرية وهي مرتبطة بالعقل[161].

- **نحو بور – رويال[162]:(1660).**

يعد نحو بور رويال أو النحو العام أنموذجا واضحا لتأثير الفلسفة العقلانية عموما،وهذا النحو العام الذي تميز بالنزعة المنطقية والعقلانية كان له الأثر الكبير في نشأت اللسانيات التوليدية والتحويلية لدى تشومسكي، بالإضافة إلى ذلك يعد نحوا مؤسسا على افتراض فكري يستمد أصوله من الفكر الفلسفي الديكارتي الذي يؤمن بوجود تطابق تام بين البنيات المنطقية والبنيات اللغوية[163]،لأن اللغة في عرف التصور العقلاني ما هي إلا تعبير منطقي عن الفكر، فعلى الرغم من الاختلاف اللغات الإنسانية إلا أن هذه اللغات كلها تتوافر على بنيات منطقية وعقلية عامة أي: مشتركة وكلية بين جميع البشر مادام الأمر متعلقا بالخصائص العقلية الكلية التي يشترك فيها الناس جميعا،

---

[161] -Voir: Chomsky, linguistique cartésienne, suivi de la nature formelle du langage, Tr, N. Delanoë et D. Sperber, Ed du Seuil. Paris 1969.p96.97.98.100.102.

[162] -Voir: Antoine Arnauld Et Claude lancelot, Grammaire générale et raisonnée. Republications paulet .Paris.1968.

[163]- ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية .ص 7.

وهكذا يرى نحاة بور رويال أن المقولات النحوية (الاسم والفعل والحرف والصفة) هي جزء من المقولات العقلية الكلية التي يشترك فيها البشر وذلك نظرا للتطابق الحاصل بينهما.[164]

من هذا المنحى ينطلق تشومسكي في بناء الجزء المهم في نظريته التوليدية وهو مسألة " الكليات اللسانية " أو ما يصطلح عليه "النحو الكلي" على أساس أن القوانين النحوية هي كليات مشتركة بين الناس جميعا وما الاختلاف الحاصل بين الألسن البشرية سوى اختلاف سطحي فقط ،لأن الأصل مشترك بينها وهو " فطرية القواعد النحوية"وكليتها[165]".وهنا يتجلى البعد المنطقي في لسانيات تشومسكي لأنه اهتم بالجانب الشكلي أو الصوري في اللغة الإنسانية بحث البعد الذهني والعقلي وأثره في اللغة لدى الإنسان. وهنا أيضا تتجلى استفادة تشومسكي من التحليل المنطقي الذي قدمه نحاة بور رويال في دراسة الجملة ،مما أنتج لديه مفهوما لسانيا جديدا هو البنية العميقة والبنية السطحية[166].

---

[164]- ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية .ص 7.

[165] -Voir:,. Chomsky, linguistique cartésienne. p96.97.98.

[166] -Voir: Chomsky, Aspects de la théorie syntaxique. P34.35.53.176.

• فون وليام هومبلدت[167](1767- 1835):

يبرز تأثر تشومسكي بفلسفة هومبلدت في مفهوم " الإبداع اللغوي " خاصة أو ما يطلق عليه بالإبداع اللغوي لدى الإنسان، وكيف يتمكن المتكلم من بواسطة اللغة من توليد ما لا يحصى من الجمل انطلاقا من قواعد محدودة جداً من حيث عددها؛ أو بعبارة أخرى من المحدود يستطيع الإنسان أن يؤلف اللامحدود من الجمل والعبارات اللغوية[168]وهكذا ستكون اللغة بهذا المعنى نشاطا متواصلا وليست بناء تاما و محددا كما قالت اللسانيات البنوية عموما، مما يدل أيضا على أن اللغة ستكون ظاهرة متطورة باستمرار.

إن من بين النتائج المترتبة على اتخاذ الفلسفة العقلانية منطلقا في دراسة اللغة الإنسانية عند تشومسكي، هو تمكنه من بيان أن النظرية اللسانية السلوكية[169] التي طبقها التوزيعيون لا تستطيع أن

---

[167] -Voir: ibid. P 09.14..

[168] -Voir: : Chomsky, linguistique cartésienne. p72.

[169] -Voir : Chomsky, linguistique cartésienne. P 23.30.31.92.93. et Aspects de la théorie syntaxique. P 14.15.

توضح حقيقة السلوك اللغوي عند الإنسان،لأنها لم تلتفت إلى الخاصية الإبداعية للغة البشرية ،لأن اللغة نشاط متجدد نابع من الذهن ومرتبط بالعقل والإرادة.

إذاً، ما يهتم به النحو التوليدي والتحويلي في دراسة اللغة الإنسانية، هو البحث في العمليات الذهنية الضمنية المتبعة في اكتساب اللغة وتعلّمها واستعمالها،وليس الاهتمام بدراسة السلوك اللغوي كما فعل التوزيعيون. إنّ هذا الاهتمام بالباطني في اللغة هو ما بات يعرف في اللسانيات المعاصرة عموما "باللسانيات الديكارتية ".[170]

على العموم تعد المنطلقات الفلسفية العقلانية والمنطقية وفلسفة هومبلدت التي اعتمد عليها تشومسكي البداية الفعلية والحقيقية للسانيات التوليدية باعتبارها منعرجا لسانيا أحدث تغييرا كبيرا في المفاهيم اللسانية وفي أسسها المعرفية والمنهجية في أمريكا وأوروبا معاً، وهكذا تحولت اللسانيات مع ثورة تشومسكي من :

- من وصفية.....إلى ..... تفسيرية.

[170] -Voir: Chomsky, linguistique cartésienne. P 16.17.75.76.

- من استقرائية .....إلى ..... استنباطية.
- من ظاهرة سلوكية ..... إلى ..... ظاهرة ذهنية باطنية وعقلية.
- من البنية السطحية .....إلى ..... البنية العميقة المرتبطة بالسطحية.

المحاضرة السابعة عشر:

تتمة التوليدية التحويلية .

تقدم في المحاضرة السابقة أن المدرسة التوليدية قد انبنت على جملة من المبادئ والأسس الفلسفية والمنطقية،ولكن هذا لا يعني أنها لم تتأسس على مبادئ لسانية خالصة، بل كان لها حظ وافر من ذلك، إلّا أننا قبل التطرق إلى بيان الأسس اللسانية التي اعتمدتها المدرسة التوليدية وطريقة تحليلها للغة الإنسانية ، لابد لنا من التنبيه إلى المراحل الكبرى التي مرت بها هذه المدرسة على النحو الآتي:

- **1/ مرحلة البنيات التركيبية:** 1957. ويمثلها كتابه الأول (البنى التركيبية) [171].
- **2/ مرحلة المعيار أو النظرية الأنموذجية:** 1965.ويمثلها كتابه الثاني (مظاهر النظرية التركيبية) [172].

---

[171]-Chomsky. Structures syntaxiques. Tr par Michel Braudeau. Ed du Seuil. Paris 1969.

[172] -Chomsky, Aspects de la théorie syntaxique, tr Jean Claude Milner, Ed du Seuil paris.1971.

- 3/ **مرحلة النظرية الأنموذجية الموسعة:** 1972. وتسمى أيضا بنظرية المعيار الموسعة، ويمثلها كتابان مهمان هما: قضايا علم الدلالة ومحاولات حول الصورة والمعنى[173].
- 4/ **مرحلة نظرية المبادئ و الوسائط:** 1981.وتنقسم هذه المرحلة إلى مرحلتين هما: نظرية العمل والربط 1981ويمثلها الكتب الآتية: المعرفة اللغوية-علم التراكيب الجديد -قراءة حول العمل والمبادئ. مرحلة نظرية الحواجز 1985.ويمثلها كتاب نظرية الحواجز.[174]
- 5/ **مرحلة البرنامج الأدنوي** 1993- 1995. ويمثلها كتابه البرنامج الأدنوي.[175]

هذه هي أهم المراحل التي عرفتها اللسانيات التوليدية على أن كل مرحلة تمثل تطويرا وتجديدا وإصلاحا للنظرية التوليدية التحويلية بسبب النقد الموجه إليها في كل مرحلة .

---

[173] -Chomsky. Questions de sémantique. Tr de Bernard Cerquiglini. Ed du Seuil paris.1975.

[174]- ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية ص 197.

[175]-CChomsky. The minimalist program. Massachusetts Institute of technology. U.S.A.2015.
وينظر أيضا في البرنامج الأدنوي وبيان مراميه، تشومسكي، بنيان اللغة. ترجمة إبراهيم الكلثم .جداول للنشر والتوزيع. بيروت لبنان.ط1/2017. ص 40-48.

أما فيما له صلة بالأسس اللسانية التي قامت عليها التوليدية والتحويلية،فإنها هي الأخرى ذات أهمية لا تقل عن أهمية الأسس الفلسفية التي تقدم ذكرها، لأن المنطلق اللساني الذي تبناه تشومسكي يتحدد في النقد اللاذع الذي وجهه إلى السلوكية' عموما وإلى العالم السلوكي "سكينر"[176]فضلا عن نقده لكل من زليج هاريس وشارل هوكيت وهؤلاء هم أعمدة المدرسة التوزيعية / السلوكية في الولايات الأمريكية المتحدة. فمن أهم النتائج التي حظي بها تشومسكي من نقده لهؤلاء هو استطاعته نقل اللسانيات من الوصف والتصنيف إلى التفسير، فكان بذلك أن قام بمراجعة الأسس المنهجية والمعرفية التي قامت عليها اللسانيات كلها، فالنقد الذي وجه صوب السلوكية أفرز نتائج إبيستيمولوجية ومنهجية جديدة لم تكن معروفة لدى اللسانيين في تلك المرحلة، لأن تشومسكي قدم برنامج بحث علمي لساني جديد يتبنى الطرح الاستنباطي – الفرضي، فصارت اللسانيات معه تنطلق من وضع

[176] -Voir: Chomsky, le langage et la pensée . P 36.37. et Chomsky, linguistique cartésienne. P 23.30.31.92.93. et Aspects de la théorie syntaxique. P 14.15.

الفرضيات أولا وصياغة النسق النظري ثانيا ثم العمل على التحقق من صدق ذلك كله عبر الاختبارات. فالنسق اللساني الذي صاغه تشومسكي يتضمن العديد من المصطلحات والرموز الرياضية والمنطقية[177]التي استخدمها تشومسكي في دراسة اللغة الإنسانية وتحليلها. لكن التطرق إليها يتطلب تفصيلا تطبيقيا وليس هذا يسمح هذا المقام بذلك.

من المفاهيم الجوهرية التي وضعها تشومسكي في اللسانيات التوليدية والتحويلية الآتي:

1/ النحو التوليدي[178]: له عند تشومسكي دلالتان: النحو التوليدي بمعنى النظرية وهو مفهوم خاص. النحو التوليدي بمعنى القواعد اللغوية وهو مفهوم عام.

أما المعنى الأول النحو التوليدي ،وهو الخاص فإنه يقصد به صياغة النسق الصوري الذي يسعى اللساني إلى بنائه وعليه فهو هنا بمعنى النظرية الصورية للنحو هي أمر اصطناعي، بحيث يمكّن

177- لقد استعان تشومسكي بالرموز الرياضية والمنطقية في معظم مؤلفاته اللسانية وهذا يوحي بطبيعة التوجه العلمي الذي يتبناه في وصف اللغة الإنسانية. أي: مقتضيات الصورنة تفرض عليه هذا النوع من اللغة الصناعية على غرار الرياضة والمنطق.

178- ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص 28 .29. 30.

النسق الصوري من وصف الملكة اللغوية عند المتكلم بلسان معين. إذا يهدف النحو بالمعنى الخاص إلى توضيح حقيقة الإبداع اللغوي الذي يتميز به كل متكلم بحيث يمكنه أن ينتج ما لا حصر له من الجمل النحوية السليمة قواعديا.

وأما المعنى الثاني[179] للنحو التوليدي وهو المفهوم العام ، فإنه يعني مجموع القواعد النحوية الموجودة في ذهن كل متكلم، وعليه يكون النحو بهذه الدلالة هو المعرفة اللغوية التي يملكها ضمنيا (باطنيا) كل فرد متكلم وتمكنه من الربط بين الصوت والمعنى. فهذه المعرفة اللغوية لابد أن تكون مشتركة بين التكلم والمستمع ولا تقتصر على واحد منهما دون الآخر.

2 / **الحدس أو حدس المتكلم**[180]: يرتبط مفهوم الحدس لدى المتكلم عند تشومسكي بمفهوم الإبداع اللغوي الذي أخذه من فلسفة هومبلدت وطوره بما يتماشى من تصوره اللساني، ومعنى هذا أن تشومسكي لا ينطلق من دراسة المتن اللغوي الذي تم جمعه بوصفه مادة قابلة لدراسة الإبداع اللغوي لدى المتكلم، لأن

---

[179]- ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص 28 .29. 30.

[180]- ينظر: المرجع نفسه ص 31.

الإبداع اللغوي هو مجمل الإمكانات اللغوية التي يتوافر عليها المتكلم المستمع بلسان معين ؛ بحيث يجعل هذا الإبداع اللغوي المتكلم / المستمع قادرا على إنتاج وتأويل ما لا يحصى من الجمل النحوية الجديدة [181]،وهذا يؤكد مرة أخرى على البعد الذهني الذي ركزت عليه اللسانيات التوليدية في دراسة اللغة الإنسانية عموما. و هكذا تتحدد أهمية الحدس في التمييز بين الجمل النحوية و الجمل اللانحوية من جهة، وارتباطه بالقواعد الفطرية من جهة أخرى.

3/ النحوية[182]: هي كل الجمل الخاضعة لقواعد التركيب المتعارف عليها في لغة ما،(السلامة القواعدية).

4 / المقبولية[183] : هي حكم الفرد المتكلم على ما يسمع من أقوال وهذا يعني أنها تنتمي إلى مجال الإنجاز أو الأداء وليس القدرة أو الكفاءة. فالمقبولية مفهوم مرتبط بثقافة المتكلم واستعداده النفسي ومستواه اللغوي .

5 / **القدرة**[184] : هي مجموع القواعد الضمنية التي يتوافر عليها

---

[181] -Voir: Chomsky. linguistique cartésienne. P 18.19.24.27.32.

[182]- ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص 34.

[183]- ينظر: المرجع نفسه ص 37.

[184]- ينظر: المرجع نفسه ص 41.

المتكلم وتجعله قادرا على إنتاج وتأويل ما لا حصر له من الجمل النحوية ولا شيء غير الجمل النحوية، فبهذه القدرة أو الكفاءة اللغوية يستطيع المتكلم / المستمع أن ينتج جملا نحوية لم ينتجها من قبل ويؤول (يفهم) جملا لم يسمعها من قبل.وهنا يتجلى مفهوم الإبداع اللغوي[185]لدى الإنسان.إذاً، يرتبط مفهوم القدرة بالبنية العميقة.

6/ الأداء أو الإنجاز[186] :وهو التنفيذ الفعلي للقواعد الضمنية التي يتوافر عليها المتكلم، أو هي التحقق الفعلي للقدرة اللغوية. إذاً يرتبط الأداء بالبنية السطحية.ومن هنا يمكننا تحديد الفرق بين القدرة والإنجاز في كون القدرة هي أنموذج صوري ومثالي،أما الإنجاز فهو الممارسة الفعلية والفردية للغة من المتكلمين والمستمعين،بيد أن هذا لا يعني انفصال البنية السطحية عن البنية العميقة فهما متلازمان.

هذا ولم يبق عمل تشومسكي حبيس النماذج الأولى من نحوه التوليدي والتحويلي، بل عرف الكثير من التطوير والتعديل

---

185 -Voir: Chomsky. Linguistique cartésienne. P 20 – 22.

186- ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية، ص 43.

المستمر، وقد بدا ذلك واضحا في إنتاجه اللساني المتأخر الذي نحا فيه المنحى البيولوجي في دراسة اللغة الإنسانية فضلا عن الاستفادة من الثورة المعلوماتية المعاصرة التي مست جميع جوانب الحياتية، وقد أفضى به ذلك إلى تقديم أنموذج لساني متطور جدا تحدد في الجانب الحاسوبي للغة وربطه بالبعد البيولوجي لها على اعتبار أن اللغة ما هي إلّا عضو من الأعضاء الإحيائية لدى الإنسان. فاللغة الإنسانية اليوم صار البحث فيها مقرونا بميادين علمية متعددة من قبيل البيولوجيا وعلم التشريح والرياضيات والحوسبة والمعالجة الآلية للغة الطبيعية والمنطق والأنثروبولوجيا، ومراعاة الجانب العرفاني فيها والإدراكي أيضا. كل هذا دقق من البحث اللساني المعاصر وطوّره بيد أنه في جانب أخر صعب مهمة اللساني المختص.

فهرس الموضوعات

- المحاضرة1 ..... 03.
- المحاضرة2 ..... 11.
- المحاضرة 3 ..... 17.
- المحاضرة 4 ..... 23.
- المحاضرة 5 ..... 30.
- المحاضرة 6 ..... 45.
- المحاضرة 7 ..... 50.
- المحاضرة 8 ..... 62.
- المحاضرة 9..... 67.
- المحاضرة 10..... 75.
- المحاضرة 11 ..... 80.
- المحاضرة 12..... 85.
- المحاضرة 13..... 92.
- المحاضرة 14..... 104.
- المحاضرة15..... 109.
- المحاضرة 16 ..... 116.
- المحاضرة 17..... 123.